الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشاذلي بن جديد – الطارف-
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الأبعاد النفسية للتراث الشعبي الجزائري في رواية وطن تاء العبور لوردة رزقين

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب الشعبي

الميدان: اللغة والأدب العربي الشعبة: دراسات أدبية التخصص: أدب شعبي

إعداد الطالبة
مسعودة تريعة

تحت إشراف الأستاذة
بريزة بهلول

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
نوال عاتي	أستاذ محاضر –أ-	الشاذلي بن جديد	رئيسا
بريزة بهول	أستاذ محاضر –أ-	الشاذلي بن جديد	مشرفا ومقررا
رزيقة بودخانة	أستاذ مساعد –أ-	الشاذلي بن جديد	مناقشا

السنة الجامعية 2025-2026

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرفان

قال الله تعالى ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ ﴾ لقمان 12

أحمد الله عز وجل الذي وفقني في اتمام هذا البحث العلمي

و الذي أعانني شدّ من عزمي لاكمال هذا البحث

ورزقني الصبر والتحّدي والحب لنجعل هذا المشروع علما ينتفع به

فالشكر لله والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

ووفقنا لإتمام هذا العمل المبارك بإذن الله.

أتقدم بخالص الشكر والتقدير والامتنان إلى

الدكتورة الفاضلة **بهلول بريزة** التي تكرمت بالإشراف على هذه المذكرة

ولم تبخل عليّ بتوجيهاتها العلمية السديدة ونصائحها القيمة ومتابعتها المستمرة

فكان لدعمها وإرشاداتها الأثر البالغ في إنجاز هذا العمل

وإخراجه في الصورة الحالية.

الطالبة مسعودة تريعة

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

إلى روح أبي الطاهرة، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، الذي كان سندًا وعطاءً لا ينضب، والذي أستحضر ذكراه في كل خطوة من خطوات حياتي، أهدي هذا العمل راجية له الرحمة والمغفرة.

إلى أمي الغالية، رمز الحب والتضحية والصبر، التي كانت ولا تزال مصدر دعمي وقوتي، والتي غرست في نفسي قيم الاجتهاد والمثابرة، حفظها الله وأدامها نعمة في حياتي.

إلى أولادي الأعزاء، الذين كانوا الدافع الأكبر لمواصلة الطريق وتحمل مشاق الدراسة والبحث، أرجوا أن يكون هذا العمل مثالا لهم على قيمة العلم والإصرار.

إلى كل أفراد أسرتي وأقاربي الذين أحاطوني بالمحبة والتشجيع.

إلى جميع هؤلاء أهدي ثمرة جهدي المتواضع، راجية أن يكون فيه الخير والفائدة.

الطالبة مسعودة تريعة

مقدمة

يُعدّ التراث من أبرز المكونات الثقافية التي تحفظ ذاكرة الشعوب، وتُجسّد هويتها الحضارية فهو الامتداد الزمني الذي يربط الماضي بالحاضر، وينقل القيم والعادات والمعتقدات والمعارف من جيل إلى آخر. ولا يقتصر التراث على المظاهر المادية الملموسة، بل يشمل أيضًا مختلف الأشكال اللامادية التي تعبّر عن الوجدان الجمعي، كالحكايات الشعبية، والأساطير، والأمثال، والعادات والتقاليد، بما تحمله من دلالات نفسية واجتماعية وثقافية تعكس رؤية الإنسان للعالم.

ويبرز الموروث الشعبي كأحد أبرز بناءات التشكيل الثقافي للأمم والمجتمعات، لأنه يشكل مرآة حقيقية للحياة النفسية والاجتماعية للأفراد والجماعات، لما يتضمنه من رموز وإيحاءات وسلوكات وممارسات، وأفكار ومعتقدات...، تعكس مختلف المشاعر الإنسانية، كالخوف، والقلق، والحزن والشعور بالانتماء. ومن هنا أصبح الموروث الشعبي مادة خصبة استلهم منها الأدباء أعمالهم الإبداعية موظفين عناصره للكشف عن أعماق النفس الإنسانية وتجسيد أزماتها وتطلعاتها.

وقد استهوتني الأعمال الأدبية التي استثمرت الموروث الشعبي ومن أبرزها رواية **"وطن تاء العبور"** للكاتبة **"وردة زرقين"**؛ حيث وظفت عناصره المختلفة، واستحضرته في جميع أطوار السرد ليشكل بنية علامتية ضمن عالم الرواية المتخيل.

تحمل الحياة النفسية أهم الأبعاد المؤثرة في بناء استقرار الأفراد والمجتمعات، وتكوينها النموذجي لذا حرص دارسي الأدب على كشف هذه الأبعاد ضمن مختلف خطابات الأبداع الأدبي لا سيما منها الرواية، وقد تقفينا سير هذه الدراسات في محاولة للكشف عن الأبعاد النفسية للموروث الشعبي في رواية **"وطن تاء العبور"**، ومدى استحضارها النفسي لهذا موروث ثّقافي شعبي، وذلك تحت عنوان: **" الأبعاد النفسية للتراث الشعبي الجزائري في رواية وطن تاء العبور لوردة رزقين"**

ما يجعل هذا الموضوع جديرا بالبحث والتحليل، أنه يلتفت إلى مادة قومية وحضارية ألا وهي التراث الشعبي الجزائري، فهو جزء في تكوين مجتمعنا وأساس أصالته وعمق هويته التي تميزه عن باقي الشعوب والأمم.

دفعني للخوض في هذا المنحى الدراسي، شغفي بحب الاطلاع على ذخر تراثنا الشعبي الجزائري، وقوة حضوره كمعلم ثقافي محدد للهوية ومتجدد مع معطيات الزمن، وميولي نحو دراسته داخل أعقد مجالات التكوين الإنساني المتمثل في الجانب النفسي، ومكامنه الباطنية.

كما أن للموضوع دوافع علمية قادتنا للعمل على دراسته، نذكر منها:

- أهمية التراث والموروث الشعبي باعتباره جزءًا من الهوية الثقافية.
- تقديم دراسة عن الرواية الجزائرية المعاصرة ومدى استحضارها الموروث الشعبي.
-محاولة الكشف عن البعد النفسي الكامن وراء توظيف الموروث الشعبي داخل النص الروائي.
- إثراء الدراسات الأدبية التي تجمع بين الأدب، التراث، وعلم النفس.

قصد الاحاطة بموضوعي، وانطلاقًا من أهمية الموروث الشعبي في تشكيل الوعي النفسي والثقافي داخل النص الروائي، تتمحور إشكالية الدراسة حول السؤال الآتي:

- **كيف تجلّت الأبعاد النفسية للموروث الشعبي الجزائري في رواية تاء العبور لوردة رزڤين؟**

ويحيلنا السؤال الجوهري إلى عدة فرضيات فرعية أهمها:

- كيف وظّفت الكاتبة الموروث الشعبي داخل رواية تاء العبور؟
- ما أبرز الأبعاد النفسية المتجلية في الرواية؟
- كيف تجسّد الشعور بالانتماء من خلال الموروث الشعبي في الرواية؟
- كيف عبّرت الرواية عن أبعاد الخوف والقلق والحزن؟
- ما الدور الذي أدّاه الموروث الشعبي في الكشف عن العالم النفسي في الرواية؟

تهدف هذه الدراسة إلى:

✓الكشف عن حضور الموروث الشعبي في رواية تاء العبور.

✓إبراز الأبعاد النفسية المتجلية في الرواية والمتمثلة في: الشعور بالانتماء، الخوف، القلق، والحزن.

- ✓ تحليل العلاقة بين الموروث الشعبي والبنية النفسية للشخصيات، والصراعات النفسية الداخلية في الرواية.

اعتمدنا على مخطط عمل يتجاوب والتّساؤلات المقدّمة، حيث قمنا بتقسيم البحث إلى فصلين وخاتمة تحوي أهم النتائج مذيلة بقائمة المراجع إلى جانب مقدمة تفصيلية للمذكرة وفهرسة لموضوعاتها.

تربع الفصل الأول (النظري) على قسمين رئيسيين، خصصا للإطار المفاهيمي للدراسة. تحت عنوان: التراث وأصنافه وعلاقته بالدراسات والأبعاد النفسية، حيث تم التعريف بالتراث، وبيان أقسامه تصنيفه وأهميته، وتحديد مفهوم البعد النفسي وأهمية الدراسات النفسية في تفسير الأدب، وتوضيح العلاقة بين الأبعاد النفسية والتراث الشعبي.

أما الفصل الثاني (التطبيقي) المعنون بـ: الأبعاد النفسية في رواية وطن تاء العبور لوردة زرقين، حوى بدوره قسمين أساسيين، إذ قدمنا قراءة وصفية للرواية تعلقت بنبذة عن المؤلفة وعن محتوى الرواية. ورمزية عنوانها وشخصياتها وأهم الأصناف التراثية المستحضرة فيها. وأتبعنا ذلك دراسة حول الأبعاد النفسية التي تم استنباطها من رواية وطن تاء العبور. يعقب ذلك كله ذيلنا البحث بخاتمة تضم أهم النتائج المتحصل عليها في البحث.

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج النفسي القائم على تحليل الحياة الباطنية للعمل الإبداعي ومدى انعكاس شعور ولاشعور الكاتب ورغباته وعواطفه وأفكاره على بنيات النص وأحداثه معتمدين على آليتي الوصف التحليل، لما يتيحه وصف الظواهر الأدبية وتحليلها من عمق التفسير وفهم للدراسة.

ساعدتنا جملة من الدراسات السابقة التي تناولت موضوع التراث والموروث الشعبي في الرواية على خوض موضوع البحث، إضافة إلى الدراسات المهتمة بالأبعاد النفسية في النص الأدبي، غير أنّنا لم نجد على حدود اطلاعنا على دراسة تتميز بمحاولة الجمع بين الموروث الشعبي والبعد النفسي في الرواية، وهو ما يمنح مذكرتنا خصوصيتها العلمية.

نخص بالذكر بعض الدراسات التي أسهمت بشكل كبير في سيرورة البحث:

- أشكال التعبير في الأدب الشعبي لنبيلة إبراهيم.
- الأبعاد النفسية والاجتماعية للتراث الشفوي لإيكوفان شفيق.

لا يخلو عمل من بعض الصعوبات التي تحد من تطلعات صاحبه، وطموحاته للإحاطة بكل عناصر البحث، نذكر أبرزها:

- قلة الدراسات المتخصصة حول رواية وطن تاء العبور.
- قلة المصادر الرابطة بين الرواية والتراث من الناحية النفسية.
- ضيق الوقت الذي حاصرنا وطوق عملنا وجعلنا بين خطر العجلة والتسرع.

يعود فضل إصرارنا على العمل وإنجازه في الوقت المحدد أولا **"لله العزيز القدير"**، الذي أنار لنا طريق العلم والمعرفة، ثم أتقدم بجزيل الشكر لأستاذتي الدكتورة الفاضلة **"بريزة بهلول"**، التي سعت بكل ما أوتيت من قوة لتوجيهنا ونصحنا، متحدية كل الظروف، لتمهد لنا الطريق لإخراج المذكرة بصورتها النهائية، كما نمد أواصل الشكر للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة الموقرين الذين تكبدوا عناء تمحيصه وتقييمه، وكل من ساعدنا في العمل من قريب أو بعيد، وإلى الطّاقم البيداغوجي والإداري لقسم اللّغة والأدب العربي، وكليّة الآداب و اللّغات، وجامعة الشّاذلي بن جديد -الطّارف- الصرح الذي فتح أمامنا طريقا للناجح والتميز.

أخيرا أرجوا من المولى عز وجل أن أكون قد وفقت في بحثي وندعو الله التوفيق والسداد لنا ولجميع من سلك في العلم دربا.

الطارف في 12-06-2026

الفصل الأول

- **تمهيد:**

يعد التراث من أهم المقومات التي تشكل هوية الشعوب وخصوصيتها الثقافية، فهي الذاكرة الحية التي تختزن تجارب الأجيال السابقة، وتعبر عن عاداتهم وتقاليدهم وأنماط تفكيرهم وطرق عيشهم.

ومن خلال التراث تنتقل القيم والمعتقدات والمعارف من جيل لآخر، فيحافظ المجتمع على استمراريته الثقافية ويؤكد انتمائه الحضاري.

كما أن التراث لا يقتصر على المظاهر المادية كالمعالم والأدوات واللباس، بل يشمل أيضا الجوانب اللامادية مثل الحكايات الشعبية والأمثال والأغاني والعادات والتقاليد، التي تعد مرآة صادقة لروح المجتمع وتاريخه.

لذلك فإن دراسة التراث والاهتمام به تعد ضرورة لفهم الماضي واستيعاب الحاضر وبناء المستقبل على أسس ثقافية راسخة، ومن هنا تبرز أهمية الوقوف عند مفهوم التراث وتعريفه، وبيان أنواعه وأهميته العالمية والمحلية.

I.تعريف التراث، أقسامه، تصنيفه، أهميته، حمايته

تخلف التجارب الحياتية للأفراد والمجتمعات كما ضخما من الأفكار والمعتقدات والعادات والأدوات التي تشكل مزيجا متكاملا دالا على الوجود الإنساني وأبعاده الثقافية والحضارية، والاجتماعية والنفسية وغيرها مما نعده إرثا ثمينا يزداد وزنه كلما تغلغل في الزمن وحافظ على ديمومته واستمراره.

إن خصوصية الموروث الشعبي وتعلق الشعوب بميراث الأجداد لفت انتباه الدارسين للإحاطة بمفهومه وتحديد أصنافه وعلاقته بالمجالات الإنسانية ككل بما فيها الأدب والرواية.

1. تعريف التراث

يتحد تعريف التراث في دلالته ومفهومه بين حديه اللغوي والاصطلاحي على أنه تركة مادية أو غير مادية تخلف من السلف للخلف.

1.1 التعريف اللغوي:

يقول ابن الأعرابي في لسان العرب لابن منظور : " الورث والورث والإرث والميراث والإيراث والتراث واحد " [1]، وفي تعريف آخر لابن منظور لمادة " ورث"، "نجد اشتقاق الوارث وهو من أسماء الله الحسنى، وقد جاء لفظه في القران الكريم،يقول تعالى:﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلونَ خَبِيرٌ﴾[2]و جاء

(1) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، مادة (ورث)، دار صادر، لبنان، المجلد الثاني، ط6، 1997،ص: 200.

(2) سورة آل عمران، الآية: 180.

أيضا في قوله: ﴿"إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾[1]بمعنى الباقي الدائم الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم، ويرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، وبقاءه تعالى ودوام ملكه بعد فناء الحياة.

وقال أيضا: ﴿ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلا لَمًّا﴾"[2]وقصد بها المال والثروة.

وجاء في معجم ابن منظور أيضا: "ورثْتُ فلانًا مالاً أرثه ورْثا ووَرْثًا إذا مات مُوَرّثُكَ فصار ميراثه لك" [3]. و "ورث فلانا المال، ومنه وعنه، يرثه ورثا، وورثا، وإرثا وورثة، ووراثة، صار إليه ماله بعد موته"[4]لتقتصر هنا كلمة "تراث" على ما خلفه الفاني للباقي بعده فيُورِثه ماله وكل ما تركه.

تحمل لفظ التراثُ والميراثُ والورثُ دلالة التركة المعنوية متمثلة في جاه والمكانة والعلم والحكمة وغير ذلك، إلى جانب ما يخلفه الرجل أو يتركه لورثته بعد موته من مال وثروة، وقد وردت كلمة تراث بمعناها المعنوي في القران الكريم في لقوله تعالى:﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ [5] ويعني وراثة النبوة والحكمة لا المال والأملاك.

(1) سورة مريم، الآية: .40.

(2) سورة الفجر، الآية: 19.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة (و ر ث)، المرجع السابق،:200.

(4) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، تخريج إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وآخرون، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، (دط)، ج1، 1989، ص: ص 1024.

(5) سورة مريم، الآية: 06.

وقوله أيضا: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَالِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [1]، يقصد يأخذ سيرته في الدين، ويخلفه في العلم والدين،فيكون إرث العلم، والشرع، دون المال والجاه ،لأن الأنبياء لا تورث أموالهم.

ومن التعاريف السابقة الذكر يتضح لنا أن المعنى اللغوي لكلمة " تراث" تعني ما خلفه الفرد من بعد وفاته، وانتقال شيء ما من الخلف إلى السلف كأن يكون ماديا كالمال والثروة...، أو معنويا كالعلم والأخلاق، والنبوة...

2-1 التعريف الاصطلاحي :

يسقط مفهوم التراث في العموم على هو كل ما هو قديم، تركه الأجداد لمن بعدهم من الأجيال،" إنه مجموع التركات التي خلفها التاريخ فوثقت معالم الحياة والنهضة الفكرية للأمم"[2]، ليشير التراث إلى ما تركه الماضي من آثار وأفكار تعكس حياة الأمم وتطورها الفكري، مما يساعدنا على فهم تاريخ الشعوب وهويتها، لأنه يجمع عاداتها وتقاليدها ولغتها وآدابها وكل ما ورثته عبر الزمن.

عرف الدكتور رمضان الصباغ التراث بأنه "الموروث الثقافي والديني والفكري والأدبي والفني، وكل ما يتصل بالحضارة أو الثقافة، وتراثنا هو الموروث عن السلف سواء كانوا ممن يقطنون نفس المنطقة أو غيرها، أي أن تراثنا هو الموروث في كل

(1) سورة مريم، الآية: 5-6.

(2) سعاد حميدة، عناصر التراث الثقافي اللامادي الجزائري ومنهجية صونه، مجلة الآداب، المجلد 19، العدد 01، ديسمبر 2019، ص:100.

أنحاء العالم، القصص الحكايات والكتابات وتاريخ الأشخاص وما ظهر من قيم وما عبر عن هذه جميعا من عادات أو تقاليد أو طقوس" [1]، فلا يقتصر التراث على جانب واحد من جوانب الحياة الإنسانية، بل يجمع بين الموروث الثقافي والديني والفكري والأدبي والفني، وكل ما يتصل بالحضارة أو الثقافة، حيث يمثل منظومة متكاملة تعبر عن هوية الإنسان وتاريخه، ولا يمكن حصرها في مجال محدد دون غيره.

وبعبارة أخرى أكثر وضوحا التراث"هو روح الماضي وروح الحاضر وروح المستقبل بالنسبة للإنسان الذي يحيا به وتموت شخصيته وهويته إذا ابتعد عنه"[2]، فهو الرابط بين الماضي والحاضر والمستقبل، وهو الركيزة الأساسية التي لا يستطيع الإنسان التخلي عنه بوصفه روح الأمة.

2. أقسام التراث

يتجلى التراث في صور متعددة تعكس حياة المجتمعات وتاريخها الثقافي، لذلك قسّمه الباحثون إلى قسمين رئيسيين: تراث مادي يتمثل في كل ما له وجود ملموس كالمباني والآثار والأدوات، وتراث لامادي يشمل العادات والتقاليد والمعتقدات والفنون الشعبية المتوارثة بين الأجيال.

2-1 التراث المادي:

(1) رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي المعاصر -دراسة جمالية-، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، الاسكندرية، ط1، 2002، ص:368.

(2) سيد علي اسماعيل، أثر التراث في المسرح المعاصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مؤسسة المرجاح الكويت، (دط)، 2000، ص:408.

يمثل كل ما هو ملموس حيث يستطيع الإنسان أن يدركه بمختلف حواسه كالعمران، المتاحف، المباني العسكرية،... الخ[1] ، فالتراث المادي هو التراث الثابت كالمواقع الأثرية، والمعالم التي أنشأها الإنسان، وتحمل قيمة تاريخية أو فنية أو ثقافية أو أدبية، "كما يشمل أيضا الأحياء القديمة وكما يتعلق بالمباني من نقوش وزخارف معمارية ويكون ثابتا، وكذا النقوش والرسوم على الصخور في الجبال والمراكز التاريخية و المتاحف والمكتبات"[2].

وهو ذلك التراكم المعرفي المتوارث الزاخر بالقيم والتقاليد، القادر على البقاء طوال الدهر بالرغم من التطور الحاصل، والآثار هي الجانب المادي الذي يشكل مع التراث كل ما خلفه الإنسان عبر الزمن، ويعتبر تراثا أثريا أو تاريخيا أو تقليديا كل أثر خلفته الحضارات السابقة في البر أو البحر ، سواء كان ذلك عقارات أو لقى أثرية منقولة أو وثائق أو مخطوطات، خلفها الإنسان في فترة من الزمن وتبدأ من حقبة ما قبل التاريخ ، مرورا بالفترات القديمة والإسلامية وتمتد إلى الفترة الحديثة، وهو بذلك امتداد السلف للخلف وهو الذاكرة الحية للفرد والمجتمع لمعرفة انتماءه وهويته، فالتراث المادي هو أحد أهم مكونات الهوية الوطنية [3].

(1)محمد سيد أشرف صالح، الحضارة العربية، أساليب الدمار والتلف، مؤسسة النور، (د م)،)د ط)، 2009، ص:07.

(2) عبد الناصر عبد الرحمان زهراني، تجربة جامعة الملك سعود في إدارة التراث، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، أعمال المؤتمرات، الاتجاهات المعاصرة في إدارة التراث الثقافي، المغرب، أغسطس 2008، ص:272.

(3) خالصة شراحيل، التراث المادي في الجزائر طرق الحفاظ عليه واستغلاله في التنمية السياحية ، مجلة هيرودوت للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 06، العدد 24، 2022، ص:310.

ونجد نوعا آخر من التراث المادي وهو التراث المادي المنقول والذي يتضمن "كل الأدوات الأثرية مهما كان نوعها أو حجمها كالأدوات الحجرية من حجارة مصقولة أو رؤوس سهام ونقود تتمثل في عملة عصر معين أو قطع خزفية والفخار إلى تمثال ضخم أو باب مسجد أو منبره"[1] ، إذا فهو كل ما نستطيع أن ننقله من مكان لآخر نذكر منها:

- الصور واللوحات والرسوم المصنوعة كليا باليد.
- المنحوتات الأصلية المتحركة.
- الصور الأصلية المنقوشة أو المطبوعة على حجر منقول.
- المخطوطات النادرة والكتب المطبوعة في عهد الطباعة الأول.
- طوابع البريد.
- المحفوظات (الصوتية، الفوتوغرافية، والسينمائية).

يشمل التراث المادي رصيدا من " التكنولوجيا والمصنوعات المادية لدى الجماعة البشرية والتي تتضمن العناصر التي أنتجها الإنسان لأغراض الزينة والفن والطقوس"[2] ، فهو ما يعكس هوية المجتمع وقيمه الثقافية في شكل عناصر ملموسة.

(1) سامية عواج، التراث المادي واللامادي ودور الإعلام في الحفاظ عليه وتثمينه، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع 22، (د ت)، ص:46.

(2) فاتن محمد الشريف، الثقافة والفلكلور، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2008، ص:54.

وفي قول آخر التراث المادي "هو كل ما يضعه الإنسان في حياته العامة وكل ما يتتبعه العمل البشري من أشياء ملموسة وكذلك كل ما يحصل عليه الناس عن طريق استخدام فنونهم وهذه الموروثات ذات طابع تقليدي لكن رغم حلول عناصر أكثر عضوية منها إلا أنها تحظى باهتمام بالغ من قبل أفراد المجتمع والمقصود بالتراث الثقافي المادي أيضا تلك التقنيات والمهارات ووصفات انتقلت عبر الأجيال كبناء البيوت وصناعة الملابس وإعداد الطعام وفلاحة الأرض وصيد الأسماك وغيرها"[1] ، فهو حصيلة ما يتناقله الناس عبر الأجيال من تقنيات ومهارات مرتبطة بحياتهم اليومية، مثل بناء البيوت وصناعة الملابس وإعداد الطعام وممارسة الفلاحة والصيد، كما يرتبط التراث بفنون المجتمع وعاداته مع استمرار الاهتمام به رغم تطور الحياة وظهور عناصر حديثة، وعليه فإنَّ التراث المادي لا يقتصر على الأشياء الملموسة فقط، بل يشمل أيضا الخبرات العملية المتوارثة التي تعكس هوية المجتمع وتضمن استمرارية ثقافته.

2-2 التراث اللامادي:

يتمثل التراث اللامادي في" الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية، التي تعتبرها الجماعات والمجموعات وأحيانا الأفراد جزءا من تراثهم الثقافي، وهذا التراث الثقافي غير المادي تبدعه الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها

(1) قدور يوسف، حادي إبراهيم، صيانة الموروث الثقافي كجزء من مقومات الأمن الثقافي والاجتماعي الجزائري، ضمن فعاليات الملتقى الوطني الأول الموروث الثقافي الجزائري ودوره في تنمية الاقتصاد المحلي، المركز الجامعي البيض، ديسمبر 2022، ص:08.

وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها، وهو ينمي لديها الإحساس بهويتها والشعور باستمراريتها ويعزز من تم احترام التنوع الثقافي والقدرة الإبداعية البشرية" [1]، فالتراث الثقافي غير المادي يشمل المعارف وأشكال التعبير التي تعدّها الجماعات جزءًا من هويتها، وهو تراث متجدد يرتبط ببيئتها وتاريخها، ويسهم في تعزيز الشعور بالهوية واحترام التنوع الثقافي.

فهو" أداة الأفراد والمجتمعات للبقاء والاستقرار ولمقاومة النسيان والفناء، وهو أكثر قدوة من التراث المادي على الحياة والاستمرار، إذ تحفظه الذاكرة والعقل والوجدان، وهو تراث حي ينمو ويتشكل من جديد بتغير الظروف وضرورات الزمن دون أن يفقد روحه وأصالته"[2] .

ومنه "فالتراث اللامادي هو مجموع التقاليد والعادات والمهارات التي تنتقل من جيل إلى آخر، فهو عامل مهم في الحفاظ على التنوع الثقافي في مواجهة العولمة المتزايدة، ففهم التراث الثقافي اللامادي يساعد على الحوار بين الثقافات"[3] ، ويتميز التراث الثقافي اللامادي بكونه تراثًا حيًّا ومتجدّدًا، يتطور باستمرار تبعًا للتغيرات الاجتماعية والبيئية، مع محافظته على جوهره الثقافي والرمزي.

(1) اليونسكو، نص اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي، https://ich.unescro.org/ar/convention

(2) لزهر جويلي، تدبير التراث الثقافي غير المادي في الدول العربية من خلال اتفاقية اليونسكو لسنة 2003، المجلة العربية للثقافة،ع67، تونس، 2021،ص: 10

(3) سليم احمدوش، التراث الثقافي اللامادي بين مخاطر الانقراض وآليات الصون: قبائل ساحل الريف الشرقي، مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المغرب، https://crshc.com

وفي تعريف آخر "التراث اللامادي يشمل المكونات الثقافية غير الملموسة التي تنتقل شفهيا أو عبر الممارسات الاجتماعية، مثل الأهازيج، الحكايات الشعبية، الأمثال، المهارات التقليدية، كما يضمن استمرارية الهوية الجماعية عبر الزمن، فهو يمثل عنصرًا حيويًا في فهم الخبرة الجماعية والتاريخ الثقافي للمجتمع، حيث يوضح كيف يعبر الإنسان عن معتقداته وتطلعاته وتجربته اليومية عبر الرموز الصوتية والحركية علاوة على ذلك يساعد التراث اللامادي على تعزيز الترابط الاجتماعي والمشاركة الجماعية في الاحتفالات والطقوس ما يرسخ الانتماء الجماعي"[1] ، فهو حسب هذا التعريف يشمل الممارسات الثقافية غير الملموسة مثل الأهازيج والحكايات والطقوس التي تنتقل شفهيا عبر الأجيال، وتكمن أهميته في حفظ القيم والعادات وتعزيز الهوية الثقافية، إضافة إلى تقوية الروابط الاجتماعية داخل المجتمع.

3. تصنيف التراث

تتجلى أهمية التراث في كونه منظومة متكاملة المظاهر الثقافية التي تعبر عن خبرة المجتمع عبر الزمن، ونظرا لتعدد عناصره وتنوع أشكاله سعى الباحثون إلى تصنيفه ضمن أقسام محددة تسهل دراسته، وتوضح طبيعة كل عنصر ووظيفته، ويقوم هذا التصنيف وفق أسس موضوعية ترتبط بطبيعة التراث ووسائط انتقاله، مما أفرز أقساما رئيسية تمثل أبرز مجالاته.

(1)جميلة قاسمي، الموروث الشعبي الجزائري: قراءة سينيمائية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2016، ص:130-138.

ومن هذا المنطلق يمكننا الوقوف عند أهم أقسام التراث التي شكلت مادة أساسية في الدراسات التراثية، ونجد علي عشري زايد قسمها على النحو التالي[1]:

1-3 التراث الديني:

يمثل جزءا أساسيا من التراث الإنساني والثقافي، ويشمل كل ما خلفته الديانات عبر التاريخ من معتقدات، ونصوص مقدسة، وطقوس وعادات...الخ، حيث كان " التراث الديني في كل الصور ولدى كل الأمم مصدرا سخيا من مصادر الإلهام"[2]، أي أن جلّ الأدباء قد استمدوا موضوعاتهم الأدبية من التراث الديني لتأثرهم به واعتباره يعبر عن هويتهم الإسلامية والمتمثل في القرآن الكريم والكتب المقدسة.

نقصد بالتراث الديني مختلف النصوص التي تكون مرجعيتها الدين، سواء كان ذلك المرجع نصًا قرآنيًا، أو من الأحاديث النبوية الشريفة، أو أقوال الصحابة عليهم الصلاة والسلام،" حيث لا يمكن أن تفهم حضور التراث الديني في الرواية إذ لم نعرف الظروف التي أحاطت بهذا التوظيف أولًا"[3]،وتتمثل هذه الظروف في الوضع السياسي والاجتماعي.

يتجسد التراث الديني في "توظيف النص الديني بمصادره القرآنية التوراتية والإنجيلية، بالإضافة إلى توظيف الحديث الشريف، والتراسيل الدينية، والفكري

(1)علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د ط)، 1997، ص، ص:75-

(2)علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر المعاصر، المرجع السابق، ص:75.

(3) مصطفى فنطازي، تجليات التراث في رواية صوت الكهف لعبد الملك مرتاض، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تحت إشراف فضيلة ركبة، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة قسنطينة 1، 2015/2014، ص:24.

الديني وظفته الرواية العربية المعاصرة على مستويات عديدة كتوظيف البنية الفنية واستحضار الشخصيات الدينية وتصوير شخصية البطل في ضوئها"[1]، بمعنى أن التراث يتجلى باشتماله على النصوص المقدسة والفكر الديني، ويوظف في الرواية على مستويات فنية متعددة؛ مثل البنية الروائية واستحضار الشخصيات الدينية...الخ. ليكون التراث الديني مصدرا مهما في استلهام العبر والحكم.

2-3 التراث التاريخي:

التراث التاريخي هو أحد أقسام التراث الثقافي الذي يختص بكل ما يتعلق بالماضي البشري من أحداث وأشخاص وحضارات، ويشمل المعالم التاريخية، الوثائق والمخطوطات، الأدوات القديمة المدن الأثرية، القلاع، والأسلحة التقليدية وغيرها، فالمقصود بالتراث التاريخي إذا هو كل ما تركه أسلافنا من آثار وأحداث وشواهد تعكس تاريخهم وحضارتهم، حيث يساعدنا على فهم الماضي والتعلم منه.

يعد التراث التاريخي مادة خصبة ينهل منها الأدباء محاولين إسقاط أحداث الواقع على أحداث تاريخية "لأن هذه الأحداث والشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي (...)، فالتاريخ ليس وصف لحقبة زمنية من وجهة نظر معاصريها، إنه إدراك إنسان معاصر أو حديث له، فليست هناك إذا صورة جامدة ثابتة لأي فترة من هذا الماضي"[2]. فيتبين لنا أن التراث التاريخي ليس مجرد

(1)محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، مكتبة الأسد، دمشق، (د ط)، 2002، ص:193.

(2) علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، م س، ص:120.

تسجيل للأحداث بل هو تأويل مستمر من قبل الإنسان المعاصر، فالصورة التاريخية ليست ثابتة بل تتغير بحسب فهمنا وسياقنا الزمني والثقافي.

3-3 التراث الأسطوري:

أن التراث الأسطوري هو مجموع الحكايات والقصص القديمة التي تعكس خيال الشعوب ومعتقداتهم، وتفسر الظواهر الطبيعية والاجتماعية والكونية من خلال شخصيات وأحداث رمزية، وينتقل هذا التراث غالبا شفويا عبر الأجيال قبل تدوينه.

يعد هذا النوع من التراث أوثق مصادر تراثنا التي لها صلة بالتجربة الواقعية، لذلك فالأسطورة مورد هام للشعراء في كل عصر، يجسدون عن طريق معطياتها الكثير من أفكارهم، "فالعلاقة بين الأسطورة والتراث هي علاقة الجزء بالكل ذلك أن التراث هو كل ما يتوارثه الأجيال سواء كان ماديا أو معنويا، والأسطورة هي جزء من تراث الجماعة الإنسانية أينما وجدت، لأن الأسطورة تراث والتراث هو نتاج الحضارات في جميع ميادين النشاط الإنساني من علم وفكر وأدب وفن وتراث شعبي وتراث فلكلوري واجتماعي واقتصادي وكثير من هذا التراث قد سجله تراثنا"[1]. لذلك تشكل الأسطورة جزءا من عطاء الحضارات السابقة والأمم السالفة، تعكس معتقداتهم وتجارب الجماعات الإنسانية الماضية، وتسهم في تكوين هويتها الحضارية و الثقافية الحاضرة.

(1) بتصرف: محمد لخضر زبايدية، من أعلام النقد العربي الحديث، دار الفكر المعاصر، باتنة، الجزائر، ط1، 2003، ص:146.

4-3 التراث الأدبي:

هو مجموع الإنتاجات الأدبية التي خلفتها المجتمعات الإنسانية على مر العصور، سواء كانت مكتوبة أو شفهية، أو شعبية أو فصيحة رسمية، وتشمل الروايات، القصص، الشعر، المسرحيات والحكايات الشعبية، والحكاية الخرافية، وقصص المغامرات والفروسية فن المقامة والأمثال والحكم...

يسعى الشعراء والكتاب من خلال التراث الأدبي المكتوب بلغة فصيحة أو العامية إلى التعبير عن ذاتيتهم وما يعتريها من مشاعر وأحاسيس، فتمثل الذات منبع التجارب الشخصية، من خلالها تتدفق ينابيع التجارب وتتجسد في الواقع، وللتراث الأدبي عبر العصور ارتباط وثيق ببيئته ومؤلفه، ارتباط متنوع في جميع الميادين سياسيا، اجتماعيا، عاطفيا...، كما أصبح الأدباء يستلهمون شخصية تراثية لارتباطها بقضية ما، ولتلاؤمها مع طبيعة المسألة التي يعبرون عنها[1].

يعد التراث الأدبي قريب من نفوس الأدباء والشعراء، لأنه يعكس الواقع المعيش ويصور لهم الحياة، سواء كانت سعيدة أو حزينة، كما يعبر من خلالها الأديب عن ذاته، "ومن الطبيعي أن يكون التراث الأدبي هو أثر المصادر التراثية وأقربها إلى نفوس الأدباء والشعراء ومن الطبيعي أن تكون شخصيات هؤلاء الأدباء من بين الشخصيات اللصيقة بنفوسهم، لأنها هي التي عانت التجربة الشعرية ومارست التعبير عنها، وكانت

(1) علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي المعاصر، (د ط)، 1997، ص:170.

هي ضمير عصرها وصوته، والأمر الذي أكسبها قدرة خاصة على التعبير عن تجربة الشاعر في كل عصر"[1].

تمزج الأعمال الأدبية بين الواقع والخيال، كما في قصة علاء الدين وحكايات الجان... حكايات (كليلة ودمنة) و(ألف ليلة وليلة)،" هذه الحكايات التي اعتمدت أساسا وبشكل واضح على رموز ودلالات ثم نقلها على لسان الحيوانات تحمل في ذاتها إشارات لها معنى ومغزى ولو فككناها لوجدناها تعبر عما يحدث في المجتمع"[2]. وتعد هذه الحكايات من أهم ما خلفه لنا الموروث الأدبي، له قيمته عند الكثير من الكتاب الذين يوظفونه على شكل تراث أدبي. ينتقل لنا أهم الطقوس التي يمارسها الفرد من عادات وتقاليد، ومنهج حياة.

5-3 التراث الشعبي(الفلكلور):

يجسد التراث الشعبي مجموع المعارف والممارسات والعادات، التقاليد، والحكايات، الأمثال وغيرها التي تنتقل شفويا أو عمليا بين أجيال المجتمع، وتعكس خبرات الناس اليومية وقيمهم ومعتقداتهم، ويشكل جزءا من هويتهم الثقافية، التراث الشعبي الأدبي هو انتقاله عن طريق المشافهة من جيل إلى آخر وصولا إلى الآن، فهو يروي لنا حياة شعب ما،

التراث الشعبي هو " المنقول بشكل رئيسي عن طريق الكلمة أو المثال أو المحاكاة (...) إنه ذلك الذي ينشا بين الناس وينتقل بينهم بشكل غير رسمي وينتقل تلقائيا، أو

(1) المرجع نفسه، ص: 138.

(2) علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، المرجع السابق، ص: 170.

عن وعي ويقبله الناس دون تحقق، ويعيدون صياغته بين حين وآخر، ويطورونه ليناسب حاجاتهم"[1] ، فهو بذلك يتعدى ليشمل كل من العادات والتقاليد والأزياء والطقوس المختلفة في العديد من المناسبات، بالإضافة إلى سلوكيات الأفراد في حياتهم اليومية وعلاقاتهم ببعضهم البعض.

وفي تعريف آخر لفاروق خورشيد للتراث الشعبي يقول: "هو مجموع العطاءات القولية والفكرية والمجتمعية، التي ورثتها الشعوب العربية"[2] ، فالتراث الشعبي عطاء فكري ومجتمعي متوارث بين الشعوب، لكنه يقتصر على الجانب المعنوي دون الإشارة للجوانب المادية والفنية، ويمكن توسيعه ليشمل دوره في حفظ الذاكرة الجماعية وتعزيز الانتماء الثقافي.

يطلق مصطلح التراث الشعبي "ليشمل ما تراكم خلال الأزمنة من موروث أمة مدى الأجيال، من أفعال وعادات وتقاليد، وسلوكات وفنون وكل ما يتعلق بالتركة التي يرثها الشعب عن الأجداد"[3]، وفي مقابل هذا المصطلح نجد لفظة **"فولكلور"** و**"الموروث الشعبي"**، فيكون بذلك التراث الشعبي وعاءً فكريًا وثقافيًا يحوي كل أنواع المعرفة من اللغة والدين والمعتقدات والتاريخ.

ومن موضوعات التراث الشعبي ذكرها الدكتور مصطفى جاد على النحو الآتي:[4]

(1) أحمد علي مرسى، مقدمة في الفلكلور، عين الدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية، مصر، (د ط)،2001، ص:70.

(2) فاروق خورشيد، عالم الأدب الشعبي العجيب، دار الشروق، مصر، لبنان، ط1، 1991، ص:08.

(3) الطاهر بلحيا، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، منشورات التبيين، الجزائر، (د ط)، 2000، ص:09.

(4) مصطفى جاد، نظريتي أرشيف الفلكلور، التأسيس دفاتر الأكاديمية، أكاديمية الفنون، (د ط)، (د ت)، ص ص:74-75.

أ- **المعارف والمعتقدات الشعبية:** وتشمل كل الانطولوجيا الشعبية، الأولياء الصالحين، الطب الشعبي، الأحلام، السحر، الأعلام...الخ، وتعد عنصرا مهما من عناصر الثقافة الشعبية التي يتلقاها الفرد ويمارسها.

ب- **الأدب الشعبي:** ويشمل الأساطير والحكايات، السير الشعبية، الملاحم الشعبية، الأغاني الشعبية، الأمثال والألغاز والفكاهة، التعابير والأقاويل السائرة...، إذ يعد عنصر المثل في هذا النوع من "أهم فنون التعبير الشائعة بين الناس والمتناقلة بين أفراد المجتمع في العصر الواحد"[1].

ت- **الفنون الشعبية:** وهي شكل من أشكال الأدب الشعبي يأتي على شكل مقطوعات تغنى، وتشمل على الموسيقى الشعبية والرقص الشعبي، الألعاب الشعبية، الدراما والتشكيل الشعبي...

ث- **الثقافة المادية:** الحرف والمهن الشعبية، الأدوات المنزلية، أدوات الزراعة، الأسلحة....

(1) عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دراسة لأشكال الأداء في الفنون التعبيرية الشعبية في الجزائر، دار القصبة للنشر (د ط)، 2007، ص: 57.

4. أهمية التراث:

يحتل التراث أهمية كبيرة ويتمتع بقيمة تاريخية وعلمية وفنية كبيرة، فالتراث لأي أمة هو عنوان مجدها، لأن التراث يربط الماضي بالحاضر، "كما يعتبر مصدر مهم من مصادر المعلومات، التي تجعلنا قادرين على استعادة ما فقد في الوقت الحاضر"[1]، فمن خلاله تشكل هوية المجتمع وتتحدد ملامحه الحضارية، ويعد عنصرا أساسيا في بناء الانتماء وتعزيز الشعور بالاستمرارية التاريخية. لذلك تولي الشعوب أهمية كبيرة للتراث لعدة أسباب نذكر منها ما يلي:[2]

1- التراث ينقل مختلف الرسائل والقيم حيث تنبؤنا الآثار التاريخية عن طريقة عيش الشعوب في الماضي.

2- التراث هو تعبير عن هويات المجتمع.

3- التراث وسيلة معبرة عن تنوع الشعوب.

4- التراث وسيلة لتطوير الاقتصاد من جذب السياح للتعرف عليه.

(1) حكيمة نعيمي، أهمية التراث وأساليب حمايته والحفاظ عليه، مجلة دراسات التنمية الاقتصادية، المجلد07، العدد01، 2024، ص:58.

(2) أمينة سرير، الآليات الدولية والسياسات الوطنية الجزائرية لحماية التراث اللامادي، مجلة القانون والعلوم البيئية، (د م)، (د ع)، 18 سبتمبر 2023، ص:135.

ويمكننا تقسيم أهمية التراث إلى ثلاثة أقسام أساسية هي كالتالي:[1]

1-4 الأهمية الحضارية التاريخية:

وتتمثل الأهمية التاريخية للموروث الثقافي في أنّها تساهم في صناعة الحضارة وبلورتها باعتبارها عاملا ثقافيا أساسيا، والعوامل التي تتمسك بها الأجيال والثقافات جيلًا بعد جيل، والأكثر من ذلك أنَّ المعتقدات الدينية المرتبطة بتلك الممتلكات الثقافية تعد الأبرز على الانتماء الحضاري للأفراد.

2-4 الأهمية الجمالية:

تتمثل لأهمية الجمالية للتراث الثقافي في فهم الإنسان لتاريخه وماضيه والاعتزاز به مما يزيده تمسكًا وثقةً بنفسه، واستفادته من تراث أجداده للمضي قدما فيما كان صائبا، وتصحيح أخطائه ليكون هناك تطور بشكل أسرع، وتشجيع الفرد في المجتمع على الإبداع والتطور والانفتاح على حضارات أخرى.

3-4 الأهمية الاقتصادية:

تكمن أهمية التراث الثقافي في إنعاش الاقتصاد من خلال السياحة المحلية والدولية خاصة السياح الأجانب، أيضا يساهم في زيادة معدلات الدخل والتنمية وأيضا زيادة تداول العملة الأجنبية.

4-4 الأهمية الثقافية:

(1) طارق شنوف، توظيف الموروث الثقافي الجزائري من خلال الومضات الاشهارية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث، جامعة قسنطينة3، قسم الفنون البصرية وفنون العرض، 2023-2024، ص ص:30-31.

تتجلى أهمية التراث في كونه عنصرًا حيويًا يربط الإنسان بمحيطه الثقافي والحضاري، ولا تقتصر هذه الأهمية على الإطار المحلي فحسب، بل تمتد لتأخذ بعدًا عالميًا يعكس تنوع الثقافات الإنسانية. فالتراث يسهم محليًا في ترسيخ الهوية والانتماء، بينما يساهم عالميًا في تعزيز الحوار الثقافي والتقارب بين الشعوب، مما يجعله ثروة إنسانية مشتركة تستحق الحفظ والصون لضمان استمرارية وكينونة الشعوب كونه الذاكرة الحية لها، فأصبح للدول الحق في المحافظة على ممتلكاتها الثقافية سواء المادية أو المعنوية.

5. حماية التراث:

تضافرت الجهود للعمل على صون وحماية هذه الموروثات الثقافية عبر الاتفاقيات والتوصيات والمؤتمرات الدولية التي تعزز هذه العملية، وتحقق المزيد من التعاون والتفاهم الثقافي بين الشعوب وقد تجسد العمل على حماية التراث من خلال المستويين المحلي والدولي، أذ نجد:[1]

5-1 على المستوى المحلي

تمتلك الجزائر تراثا ثقافيا معتبرا تنوع بين مادي وغير مادي، يعبر عن الهوية الوطنية ويجسد تاريخها والتنوع الثقافي عبر مختلف مناطق الوطن، فهو يساهم في ترسيخ روح الانتماء والمحافظة على العادات والتقاليد والأعراف الشعبية التي توارثتها الأجيال، كما يعزز التماسك الاجتماعي من خلال القيم المشتركة التي يحملها، إضافة إلى ذلك يعمل التراث الجزائري على إبراز الخصوصية الثقافية للمجتمع، وصون الذاكرة

(1) أحمد علي مرسي، صون التراث الثقافي غير المادي أرشيف الحياة والمأثورات الشعبية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،ط1، 2013، ص: 13.

الجماعية، وتشجيع الاهتمام بالموروث الشعبي باعتباره جزءًا أساسيًا من الشخصية الوطنية، الأمر الذي دفع بالمشرع الجزائري الاهتمام بالتراث من خلال عدة نصوص قانونية.

فقد كان الأمر رقم281-67 المتعلق بالحفريات وحماية الأماكن والآثار التاريخية الطبيعية أول نص قانوني في الجزائر المستقلة يتناول موضوع الممتلكات الثقافية العقارية، غير أن قصور هذا النص وعدم إلمامه بكل الجوانب المتعلقة بحماية التراث الثقافي والعقار الثقافي خصوصا أدى بالمشرع إلى استصدار القانون رقم 04-98 المتعلق بحماية التراث الثقافي[1] لسنة 1998.

تحتوي الجزائر على أكثر من430 موقعا ومعلما أثريا، مصنفا تراثا وطنيا محميا من بينها سبعة (07)، مصنفة تراثا عالميا محميا من طرف اليونسكو، والمتمثلة فيما يلي:

- الطاسيلي ناجر.
- تيبازة.
- تيمقاد.
- قلعة بني حمادة.
- وادي ميزاب
- جميلة
- قصبة الجزائر.

(1) لبيد مريم، طالبي مسعودة، مفهوم التراث الثقافي المادي وآليات الحماية القانونية له، مجلة القانون والعلوم البيئية، المجلد2،ع2، 2023،ص:1531.

2-5 على المستوى العالمي:

دور اليونسكو في حماية التراث: "تكرس اليونسكو كل نشاطها من أجل حماية الأعيان الثقافية وتطوير وتعميم هذه الحماية، وهذا عن طريق القرارات والتوصيات التي يصدرها مؤتمرها العام للدول الأعضاء، كما أنها تتبنى مشاريع اتفاقيات دولية لها قيمة كبيرة في معالجة هذه المسألة، وقد كان لمنظمة اليونسكو بدعم من حكومة هولندا المبادرة لوضع مشروع معاهدة لحماية الأعيان الثقافية زمن النزاعات المسلحة".

مما يعني أنَّ منظمة اليونسكو تضطلع بحماية الأعيان الثقافية من خلال إصدار القرارات والتوصيات وتبني الاتفاقيات الدولية التي تهدف إلى صون التراث الثقافي، خاصة في أوقات النزاعات المسلحة.

كما يؤكد على أهمية التعاون الدولي ومبادرة الدول الداعمة مثل هولندا في وضع أطر قانونية تضمن حماية هذه الممتلكات والحفاظ عليها باعتبارها إرثًا إنسانيًا مشتركًا.

كما ساهمت كذلك اليونسكو في إبرام عدة اتفاقيات لها علاقة بحماية الأعيان الثقافية منها: اتفاقية باريس الخاصة بوسائل حظر ومنع استيراد وتصدير والنقل غير المشروع للملكية الثقافية المبرمة في 14 ماي 1970م، واتفاقية اليونسكو بشأن حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي المبرمة في 16 نوفمبر 1972م[1]، ويمكن أن تنطبق هذه الاتفاقيات وقت السلم ووقت النزاعات المسلحة.

(1) أحمد أبو الوفا، النظرية العامة للقانون الدولي الإنساني (في القانون وفي الشريعة الإسلامية)، دار النهضة العربية، القاهرة،ط1، 2006، ص:107,

تلعب اليونسكو دورًا فعالًا في حماية الأعيان الثقافية من خلال إبرام اتفاقيات دولية تنظّم حمايتها وتمنع الاتجار غير المشروع بها، كما يتبين لنا أنَّ هذه الاتفاقيات (اتفاقية باريس 1970، واتفاقية التراث العالمي 1972) تمتد لتشمل فترات النزاعات المسلحة مما يعكس الطابع العالمي والدائم لحماية التراث باعتباره إرثًا إنسانيًا مشتركًا يجب صونه في جميع الظروف.

وقد ساهمت كذلك منظمة اليونسكو في عقد كل من الاتفاقية الخاصة بحماية التراث الثقافي المغمور بالمياه في 2001م، واتفاقية حماية التراث الثقافي غير المادي في 2003م، كما أنه وفي إطار المساعدة التي يمكن أن تقدمها اليونسكو للدول في حالة النزاعات المسلحة تقدم المساعدة التقنية المنصوص عليها في المادة 23 من اتفاقية لاهاي لعام 1954م، والبرتوكول الإضافي الثاني المبرم في 1999م من خلال مادته33 واللتان تنُّصان على إمكانية طلب أطراف النزاع المعونة التقنية من اليونسكو. ويمكن أن تتمثل هذه المساعدة في: " تنظيم وسائل حماية هذه الممتلكات، أو حل أي مشكلة ناجمة عن تطبيق الاتفاقية أو لائحتها التنفيذية وتقوم اليونسكو بتقديم هذه المساعدة في حدود ما تتيحه لها برامجها ومواردها المالية، كما تشجع اليونسكو الدول على تقديم المساعدة التقنية على صعيد ثنائي أو متعدد الأطراف "[1].

يبرز دور منظمة اليونسكو في تعزيز حماية التراث بمختلف أشكاله، وتعمل كذلك على تقديم المساعدة التقنية للدول خاصة أثناء النزاعات المسلحة.

(1) طحرور فيصل، دور منظمة اليونسكو في حماية الممتلكات الثقافية زمن النزاعات المسلحة، جامعة باتنة، ع06، جوان2016، ص:333.

II.الأبعاد النفسية وعلاقتها بالرواية والتراث الشعبي

تمثل الأبعاد النفسية ركيزة أساسية في الدارسات الأدبية خاصة في الرواية التي تشكل مرآة عاكسة لحياة الإنسان الداخلية والخارجية، فهي لا تقتصر على سرد الأحداث ووصف الشخصيات بل تبتعد لتصل إلى المشاعر والأحاسيس والنزاعات النفسية التي تسير سلوك الأفراد وتتحكم في ردود أفعالهم، ومن خلال الأبعاد النفسية يقوم الروائي بتجسيد حالات الخوف والقلق والحب والاغتراب وغيرها من الحالات الانسانية مما يعطي النص الروائي عمقا وواقعية، ينقل القارئ ليعيش تلك الحالة الوجدانية كما أن التراث الشعبي يعد مصدرا أساسيا تستمد منه الرواية الكثير من عناصرها السردية، فهو يضم الحكايات، الأمثال، الألغاز، الأساطير، الخرافات، العادات والتقاليد التي تمثل روح المجتمع وذاكرته الجماعية، والروائي عندما يستعين بالتراث ويدمجه في روايته فهو يعيد صياغته في ما يخدم أفكاره ورؤيته الفنية، وتبرز العلاقة بين الأبعاد النفسية والتراث الشعبي من خلال الشخصيات التي تتأثر بالمعتقدات الشعبية، التي تأثر بطبيعة الحال على سلوكها ونظرتها إلى الحياة.

لذلك فإن دراسة العلاقة بين الأبعاد النفسية والرواية والتراث الشعبي، تكشف عن مدى تداخل الجانب النفسي مع البعد الثقافي والاجتماعي وتبرز قدرة الرواية على حفظ الموروث الشعبي من جهة وتحليل التجربة الانسانية وفهم أعماق النفس البشرية من جهة أخرى، مما يجعلها جنسا أدبيا غنيا بالقيم الفنية والمعرفية..

1. مفهوم البعد النفسي:

لا تتعلق المدركات النفسية بتتبع الأحوال المتوالية على ذات الفرد وما يعتريها من مشاعر وأحاسيس، إنما الأمر أعمق من ذلك، إذ تتعداه إلى تأثير هذه المدركات والمكنونات على حياتنا وفاعلية أبعادها على وجودنا الإنساني ككل، بذلك مثلت هذه الأبعاد النفسية بنيات تكوينية فاعلة الحضور في جميع المناحي والمجالات.

1-1 مفهوم البعد لغة:

ينحدر لفظ البعد من مصدر الفعل الثلاثي " بعد" " الباء والعين والدال أصلان: خلاف القرب ومقابل قبل"[1] إذ جاء في لسان العرب" أن كلمة بعد تعني: البعد خلاف القرب، بعد الرجل بالضم، وبعد بالكسر بعدا وبعدا، فهو بعيد وبعاد ... تباعد، وجمعها بعداء، قال أبو نهر: في القريب و البعيد، ورواه ابن الأعرابي: في الأدنى وفي البعيد، قال: بعيد وبعد، والبعد جمع باعد مثل خادم وخدم" [2]

وجاءت كلمة " بعد " في المعجم الوسيط تدل على الاتساع: "بعد، بعدا، بعد، فهو بعيد (ج) بعداء، وبه جعله بعيدا، أبعد فلان: تنحى بعيدا، وجاوز الحد يقال: أبعد في السوم، اشتط، وأبعد في السفر، وأبعدت الناقة في الرعي، وفي الأمر: أمعن فيه، والشيء جعله بعيدا، ويقال في الدعاء عليه: أبعده الله."[3] وجاء أيضا في إحدى التعاريف " البعد اتساع المدى، ومنه بعد الصيت: سعة الشهرة، وبعد النظر: عمق

(1) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة،تح: محمد هارون، دار الفكب، بيروت، لبنان، د ط، 1979، ص: 125.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (بعد)، مرجع سابق، ص: 122.

(3)مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط2، 2005،ص: 86.

التفكير، حسن الرأي والتدبير، وهو ذو بعد أي ذو رأي عميق، وبعد الهمة: علوها"[1] . ومن خلال التعريف اللغوي لكلمة " بعد" يتبين لنا أن مفهومها واسع وعميق المدى، وبأن هذه اللفظة تحمل عدة معان، لا ترتبط بمجال بعينه أو جانب معين.

2-1 مفهوم البعد النفسي اصطلاحا:

يختلف معنى البعد اصطلاحاً بحسب السياق والمجال الذي يُستخدم فيه (رياضيات، فلسفة، أو علوم اجتماعية)، ويُقصد به عموماً امتداد، أو اتساع، أو زاوية نظر، أو إحداثي يُستخدم لتحديد قياسات الأشياء أو تفسير الظواهر المختلفة.

وفي العموم كلمة "البعد" اصطلاحاً هي أداة قياس أو إطار مرجعي سواء كان مادياً كالمسافات والأطوال، أو معنوياً كالجوانب والزوايا يُعتمد عليه لفهم وتحديد طبيعة الأشياء أو المواقف.

يعرف علم النفس بأنّه "العلم الذي يدرس علم الحياة النفسية، وما تتضمنه من أفكار ومشاعر، وإحساسات وميول ورغبات وذكريات وانفعالات"[2]، فهو يهتم بالإنسان وسلوكاته من خلال تتبع الأبعاد النفسية لحياة الفرد، وتحليل سلوكاته وفق هذه الأبعاد لفهم وتبرير أفعاله ورغباته، وأفكاره ودرجات أفعاله لحظة تعرضه لعوامل نفسية. ومن علماء النفس الذين اعتمدوا المنهج النفسي نجد سيغموند فرويد ألدر ويونغ

(1)أ حمد فتح الله، ماهية "البعد اللغوي" ، جهات الإخبارية (صحيفة إلكترونية سعودية مرخصة من وزارة الإعلام) ، الموقع الالكتروني: https://jehat.net .

(2) أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، دار الكتاب العربي لطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط7، 1968، ص:03.

من أقطاب مدرسة التحليل النفسي، عمدوا إلى دراسة الأعمال الأدبية، وشخصيات الأدباء خاصة الشعراء.

يعني المنهج النفسي في الأدب في أبسط تعاريفه " ذلك المنهج الذي يخضع النص الأدبي للبحوث النفسية، ويحاول الانتفاع من النظريات النفسية في تفسير الظواهر الأدبية، والكشف عللها وأسبابها ومنابعها الخفية وخيوطها الدقيقة، وما لها من أعماق وأبعاد وآثار ممتدة"[1]، إذ يقوم هذا المنهج على إخضاع النص الأدبي للتحليل اعتمادًا على المعطيات والنظريات النفسية، بغية تفسير الظواهر الأدبية والكشف عن دوافعها العميقة ومصادرها الخفية، فالعالم النفسي لا يكتفي بدراسة البنية الظاهرة للنص، بل يتجاوزها إلى البحث في أعماق التجربة النفسية للمبدع والشخصيات، وما يرتبط بها من أبعاد شعورية ولا شعورية، فوظيفة المنهج النفسي تظهر في تتبع الأسباب الكامنة وراء العمل الأدبي وربطها بالحالة النفسية والظروف الداخلية، مما يجعله منهجًا يركز على تفسير النص وتجلية أبعاده النفسية المتحكمة فيه، والكشف عن خيوطه الدقيقة وآثاره الممتدة.

(1) عبد القادر قصاب، التحليل النفسي في الدرس النقدي العربي، مجلة آفاق علمية، المجلد11، العدد 01، 2019، ص: 393.

2. الأبعاد النفسية للأدب

يمثل البعد النفسي في الأدب دراسة مشاعر الإنسان وصراعاته الداخلية، والكشف عن الدوافع الخفية التي توجه سلوكه، مما يضفي على النص عمقًا إنسانيًا، حيث "ارتبط البعد النفسي للأعمال الأدبية بما يعرف بالمنهج النفسي، الذي لاقى ريادة كبرى في مجال الأدب حينا، واعترض عليه عديد النقاد حينا آخر، وقد كان المنادون به يرون الأديب عامة والشاعر بصفة خاصة قادرا بخلاف الإنسان العادي على استعادة تجربته مع المحافظة على توازنه وهدوئه."[1] وترتبط الدراسات النفسية للأدب بأفكار عدد من رواد التحليل النفسي، من بينهم سيغموند فرويد، وكارل يونغ، وألفرد آدلر، إضافة إلى الناقد الفرنسي شارل مورون.

ويُعدّ فرويد من أبرز هؤلاء، إذ ينظر إلى العمل الأدبي بوصفه بنية رمزية تتداخل فيها دلالات متعددة ومتراكبة، الأمر الذي يستدعي التعمق في تحليلها لكشف ما تنطوي عليه من خفايا ومعانٍ كامنة.

لقد كان الفن عموما في مدى تفكير فرويد وعمله التحليلي على الدوام ولذلك اتخذه مجالا للمقارنة مع كافة الظواهر النفسية التعبيرية وفي أولها الحلم من جهة ، ذلك أن " قضية فرويد الأساسية مفادها أن الخيال الأدبي مماثل أل ي منتج آخر من منتجات الخيال وبصفة خاصة الأحلام ، فالنواتج الابداعية هي تجليات وإشباعات رمزية للرغبات والتخيليات اللاشعورية ، ثم جعل منه مادة تخليلية لاختبار كثير من

(1) ابراهيم خليل محمود، النقد الأدبي الحديث، من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للطباعة والنشر، (د ط)، 2007، ص: 61.

الفرضيات النفسية التحليلية فقد كانت نظرته الأدب والفن مشبعة في العمق بذلك التقدير المعرفي الكبير الذي يناط به مهام التعبير الإنساني الكبرى والحاسمة، وقد عزى في بعض أرائه مهمة التحليل النفسي الأولى إلى أولئك الكتاب الكبار الذين احتوى أدبهم تجارب انسانية جوهرية ال يمكن تجاوزها عند البحث في مضمار الحياة النفسية الإنسانية فغالبا " ما كان يكشف اعتقاده الراسخ بأن النصوص التي تعد خالدة قادرة على أن تكون موجهات ...لقد كان فرويد مبهورا ببعد نظر هذه العقول الخارقة التي ال تملك وسائل تحليل متأثرا بنظراتها أوصافا ومحكيات"[1]

صاغ فرويد مفهوم "اللاوعي"، الذي يقوم على أن الإنسان يشكّل واقعه استنادًا إلى رغباته المكبوتة، "ولهذا فكل تعبير سلوكا كان أم خيالا هو مجموعة معقدة من الرموز تحاول الكشف بطريقة غير مباشرة عما يتمنى هذا المرء فعله، لكن العرف الاجتماعي أو الأخلاق تقيده وتمنعانه من ذلك"[2]، بذلك فإن كل تعبير سواء كان سلوكًا أو خيالًا، يشكل بعدا نفسيا عميقا، ويُعدّ بنية معقدة تنبع من هذه الرغبات الدفينة. من هنا يتضح أن البعد النفسي في الأدب يكشف خبايا النفس الإنسانية ويبرز دور اللاوعي والرغبات المكبوتة في تشكيل العمل الأدبي.

ويؤكد أحد النقاد هذا الرأي بقوله: "أن الأدب هو أساس النظرية النفسانية، فمن دون الأدب لم يكن، ربما ممكنا تأسيس التحليل النفسي، فقد كانت الفنون والآداب

(1)محمد قراش، التحليل النفسي وتفسير الفن والأدب: قراءة في الاسهامات التأسيسية لسيغموند فرويد، مجلة حقائق لدراسات النفسية والاجتماعية، ع18. د ت

(2) ابراهيم خليل محمود، النقد الأدبي الحديث، مرجع سابق، ص: 52.

تمارس تأثيرا حقيقيا على فرويد، وميوله التراجيدي إلى التراجيديا الإغريقية والآداب الألمانية كان حاسما في تحديد عقدة أوديب ونظرية الحلم ... ففي زمانه، أواخر القرن 19، لم تكن دراسات الطالب العلمي منفصلة عن دراسات الطالب الأدبي كما هو واقع اليوم، وأغلب علماء ذلك العصر كان لهم تكوين أدبي صلب".[1] فلقد استفاد فرويد إلى جانب تكوينه الطبي المتخصص كما رأينا من معارف شتى ولعل أهمها: نظرية التطور لداروين والتنويم المغناطيسي، والأدب القديم والحديث، واستطاع أن يوظف كثيرا من الأدب في خدمة نظريته، واستعار بعض المصطلحات من مثل[2]: عقدة أوديب، والوليمة الطوطمية والخطيئة الأصلية، كما أنو استفاد من قصص التوراة الإنجيل لتأكيد كثيرا من أفكاره، واستفاد من بعض العلماء أمثال أرنست بروك.

فكلما تعمقنا في دراسة علم النفس وفهم آلياته ازداد اقتناعنا بمتانة الصلة التي تجمع بين البعد العلمي البيولوجي والبعد الفلسفي الأدبي. ويتجلى ذلك بوضوح في العديد من المفاهيم النفسية التحليلية التي استلهمها فرويد من الأدب والأدباء، سواء على مستوى المصطلح أو المفهوم، فقد وجد فرويد في الأدباء رفاقًا حقيقيين له، لما يمتلكونه من قدرة على التغلغل في أعماق النفس الإنسانية وكشف خفايا اللاشعور وأسراره الدفين.

(1) أنور عبد الحميد الموسى، علم النفس الأدبي " منهج سيكولوجي في قراءة الأعماق، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2011، ص ص: 18-19.

(2) كمال وهبي وكمال أبو شهدة، مقدمة في التحليل النفسي، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1997، ص: 13.

3. الأبعاد النفسية وعلاقتها بالتراث الشعبي:

تمثل الأبعاد النفسية الجوانب الداخلية المرتبطة بالحالة الشعورية والانفعالية والعقلية للشخصية مثل الدوافع، والصراعات النفسية، والمخاوف، والرغبات، والميول، وطبيعة التفكير والتي تسهم في سلوك الفرد ومواقفه داخل النص أو الواقع.

3-1 العلاقة بين الأبعاد النفسية والتراث الشعبي:

ترتبط الأبعاد النفسية بالتراث الشعبي ارتباطًا وثيقًا، إذ يعكس التراث الشعبي مشاعر الإنسان الداخلية، كما يجسد أحلامه ومخاوفه ورغباته والدوافع الكامنة في الإنسان، وهي عناصر تتجلى بوضوح في مختلف أشكال التراث الشعبي كالحكايات والأساطير والأمثال والأغاني الشعبية، التي تعبر في جوهرها عن التجربة النفسية الجماعية للأفراد.

فمثلا، وظف الأدباء الأسطورة في إبداعاتهم للتعبير عن رؤاهم الفكرية الإبداعية وحياتهم النفسية، تتميز "بعمقها الفلسفي الذي يميزها عن الحكاية الشعبية..."[1] فيحمل التراث الأسطوري ثوبا جديدا محملا بقدرات دائمة على العطاء المتجدد، وإلى جانب المحافظة على أصالته وعراقته. ويكشف عن اللاوعي الجمعي ويجسد القلق الوجودي، بذلك تتميز الأسطورة بأنها تؤدي وظيفة إنسانية تساعد على كشف العوالم، "وقد صممت الأسطورة إذا لمساعدتنا على التعامل مع المآزق البشرية المستعصية، وإعانة

1 عبد الرضا علي، الأسطورة والرمز في الشعر السايب، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، (دط)، 1978، ص:19.

الناس على تحديد موقعهم في العالم وتجديد وجهتهم فيه"[1]. فهي ليست مجرد تراث حكائي بل خطاب رمزي يعكس أعماق النفس الإنسانية، ويجسد مخاوفها ورغباتها.

يتداخل البعد النفسي مع الموروث الشعبي بوضوح، إذ يعكس التراث ما تختزنه النفس الإنسانية من مشاعر وصراعات ورغبات، فالحكايات الشعبية تجسد الصراعات الداخلية، والأساطير تعكس المخاوف من المجهول، والأمثال تختزل الخبرات النفسية والاجتماعية، وبهذا الشكل يصبح الموروث الشعبي مرآة تعكس البنية النفسية للفرد والجماعة.

ويمكننا أن نحصر أهم الأبعاد النفسية للتراث الشفوي والذي يعد من أهم أنواع التراث الشعبي فيما يلي: [2]

أ- **الشعور بالانتماء:** الانتماء بحاجة إلى مرجعية يعود الإنسان لها كلما شعر أنه بحاجة إلى مكان يضمه وناس تؤويه...إلا أن التراث الشعبي، يساعد بشكل كبير في تحسيس الفرد لأنه جزء من الجماعة التي يتشارك معها قيما ومواقف معينة، وهو بتبادله لهذا التراث يشعر أكثر بوجوده وفعاليته ضمن الجماعة الكبيرة.

1 كارين أرمسترنغ، تاريخ الأسطورة، تر: وجيه قانصو، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2008، ص: 11-12.

22 ينظر: شفيق إيكوفان، الأبعاد النفسية والاجتماعية للتراث الشفوي وإشكاليات التلقي، قسم الإعلام جامعة تيزي وزو، ص ص: 377-378- 379.

ب- **تقدير الذات، وزيادة الثقة بالنفس:** يعمل الموروث التراثي الشفهي على تقوية ثقة الفرد بنفسه، بحيث تعمل الأمثال الشعبية مثلا أو الأقوال المأثورة، فضلا عن الأشعار المحلية على اكتساب مهارات لغوية، وكذا فنية في طريقة التعامل مع النفس ومع الآخر، وبالتالي ترتفع ثقة الفرد بنفسه،... ويرى فيها قدوة ومثالا ايجابيا في الحياة. ولهذا نجد الفئات الاجتماعية التي تتبنى هذا التراث أكثر اعتزازا بذاتها وتقديرا لمكانتها مقارنة بالفئات الأقل التزاما بمضامين هذا التراث.

ت- **الإقبال الايجابي على الحياة:** أثبتت بعض الدراسات الأنثوجرافية أن المجتمعات الأكثر محافظة على تراثها المحلي، والأقل تعرضا لموجة الحضارة، أكثر إقبالا على الحياة بإيجابية من نظيرتها من المجتمعات، ذلك لأن التراث المحلي الذي يمتاز بالثبات والإجماع يوفر بيئة مناسبة للتأقلم، والتفكير بإيجابية في الحياة.

ث- **زيادة الذكاء والحكمة:** يساهم التراث الشعبي الشفهي في رفع مستوى ذكاء الفرد وحكمته، فمضامين هذا التراث التي تتناول قصص واقعية، إرشادات ونصائح، حكم وتوجيهات... تمثل في النهاية في صنع التراكمية المعرفية للفرد، وتساهم في رفع مستوى ذكائه في تعامله مع الظروف والأحداث.

تكشف الأساطير على أهمية جانب آخر وهو الجانب النفسي للإنسان، فإن مؤسس المنهج الأسطوري كارل يونغ يرى بأنَّ "وظيفة الأساطير والأحلام ذات الدلالة في حياة الإنسان ليست مجرد التطهير وإنما إتاحة قدر من المعرفة بأنفسنا."[1]

وما قدمه "يونغ " للنقد الأسطوري أمر في غاية الأهمية سيما مبدأ الأنماط الأولية/ النماذج البدائية التي أطلق عليها "يونغ" اللاشعور الجمعي عكس أستاذه الذي أطلق عليها اللاشعور الفردي، كما ميز بين الرموز الفردية والرموز الجمعية مؤكدا على أهمية الرموز الجماعية إذا اعتبرها أصلا إلهيا واعتبرها ثمرة من ثمار الوعي .

للأسطورة صلة بالنفس البشرية ولها تأثير بالغ فيها، فهي تفسر حالات القلق والحيرة لدى الكاتب وتقوم مقام العلاج لحالته النفسية

2-3 أهمية دراسة الأبعاد النفسية على التراث الشعبي:

تكمن أهمية دراسة الأبعاد النفسية في التراث الشعبي في كونها تفتح نافذة عميقة لفهم العقل الجماعي، والمخيال الشعبي، وتفسير السلوكيات الاجتماعية من خلال

1 سمير سرحان، التفسير الأسطوري في النقد الأدبي، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد3، المجلد 1، ج1، أفريل 1981، ص: 99.

الموروث الشفهي والمادي. هذا التوجه يربط بين الذات الفردية والجماعية، ويُبرز كيف تشكل الحكايات والعادات النفسية الفردية والاجتماعية.

إذ "تساهم بشكل فعال في تأسيس قيم ومبادئ المجتمع، وترمز إلى مقوماته العميقة، وهو ما يميزه عن مجتمعات أخرى. فالهوية الاجتماعية، تتحدد استنادا إلى ما يميز من أفراد هذا المجتمع في خصائصهم الثقافية، التي تتأتى من التراث نفسه، فالتراث مازال حيا في قلوب الناس، ويؤثر فيهم سلبا وإيجابا يلجؤون إليه ساعات الأزمات ويحتمون به إذ اشتدت عوائد الدهر"[1]

تتجلى دراسة البعد النفسي في التراث الشعبي في الفهم العميق للعقلية الجماعية وسلوك الأفراد، باعتباره مرآة تعكس القيم والمشاعر المتجذرة في المجتمع، كما يبرز دوره في تشكيل الهوية الاجتماعية واستمراريتها عبر الأجيال خاصة في كواجهة الأزمات.

(1) شفيق إيكوفان ، الأبعاد النفسية والاجتماعية للتراث الشفوي، مرجع سابق، ص: 372.

الفصل الثاني

- **تمهيد:**

يعتبر الموروث الشعبي من أبرز العناصر التي وظفتها الرواية الجزائرية، لما يحمله من دلالات ثقافية ونفسية، تعكس لنا المجتمع وتصوراته المختلفة، ولا نخص بالذكر أنواع التراث الجزائري المادي واللامادي فقط، بل تجاوز ذلك ليصبح وسيلة للكشف عن مكنونات الشخصيات الداخلية وماشه من مشاعر وأحاسيس متنوعة وفي رواية وطن تاء العبور لوردة زرقين.

دلإظهار العديد من الأبعاد النفسية، التي تعكس واقع الأنسان الجزائري من خلال استحضار بعض الطقوس والمعتقدات والمعارف والنصوص الشعبية، عن طريقها نتعرف على الأبعاد النفسية التي تستبغ بها الشخصيات من خوف وقلق، وارتباطها بذاكرتها الجماعية، والسعي للمحافظة على ما توارثته من قيم وعادات، وهو ما يتجلى في شعورها بالانتماء إلى الجماعة، وتمسكها بهواياتها.

من خلال الموروث الشعبي الذي يعتبر بوابه للعبور إلى الماضي بما تحمله الرحلة من حنين إلى الذكريات والصور التي تخص مرحلة سابقة لأناس عاشوا قبلنا، وتظهر لنا الرواية مدى تأثر الشخصيات بموروث شعبها من خلال طريقة تفكيرها، واتخاذها لبعض القرارات المهمة، مما يجعل التراث عنصرا فاعلا في توجيه سلوكاتنا وتفكيرنا.

حاولت الكاتبة بتوظيفها للتراث الجزائري المتنوع الشعبي في روايتها نقل خبرات وقيم السلف للجيل الصاعد، ونجحت في ورفع الستار عن الموروث الشعبي، المعبر عن أمال وأحلام كل فرد الأمر الذي يجعل التراث الشعبي أداة المهمة لفهم النفس الإنسانية، وعلاقتها بذاكرة الجماعية.

I. قراءة وصفية مختصرة في الرواية

لم يعد دور الرواية كجنس أدبي محصورا في الجانب الفني والترفيه عن القارئ وتشويقه للعيش في عالم متخيل قد يحمله إلى بعض أحلامه التي يرمي لتحقيقها، إنما أصبحت جزءا من واقعنا المعاش ناقلة لأطواره وانشغالاته، بل قد تكون ناقدة وفاضحة للتجاوزات التي يسعى الفرد لتعديلها وتغييرها.

لقد حملت الرواية إيديولوجيات وأفكار المجتمعات، خاصة منها الرواية المعاصرة المواكبة لكل التطورات والتغيرات الحاصلة في عالمنا، وتمثل رواية وطن تاء العبور من الروايات الجديد لكاتبة صاعدة في الساحة الأدبية الجزائرية، رفعت بها تحدي الكتابة على ضوء استحضار التراث الشعبي، ساعية لإبراز صوت المرأة كعنصر فعال في حمل التغييرات وإحداث التحولات في فكر المجتمع الجزائري.

1. نبذة عن المؤلفة وردة زرقين

وردة زرقين هي كاتبة وصحفية جزائرية بارزة، ولدت في مدينة قالمة شرق الجزائر، تعرف بجهودها الكبيرة في جمع وتوثيق التراث الشفوي الشعبي الجزائري، وهي من الروايات اللواتي نجحن من خلال إبداعاتهم الأدبية، اسمها وريدة (في جواز السفر) من ولاية قالمة، ذات جنسية جزائرية، وهي جامعية، تعمل وردة زرقين إعلامية (جريدة " المساء" الوطنية اليومية)، وصاحبة الموقع الالكتروني "العنقاء للثقافة والسياحة"، وقد اشتغلت سابقا في مؤسسة " الجزائرية للمياه" وحدة قالمة، بدأ شغفها في التراث الشعبي منذ صغرها، حيث كانت تجالس كبار

السن للاستماع إلى الأمثال والحكايات الشعبية، مما دفعها لاحقا إلى تدوين هذا التراث في كتب ومؤلفات من إصدارتها:

- جواهر أمثال شعبية _بوقالات_ ألغاز شعبية (الجزء الثاني) عن دار الماهر سنة 2018.[1]
- المطبعية في إطار قسنطينة عاصمة الثقافة العربية في سنة 2015م.
- مجموعة قصصية " ذات الفلجتين" عن دار الأوطان في سنة 2021م.
- رواية " وطن تاء العبور" عن دار خيال للنشر والترجمة في سبتمبر 2023م.

2. قراءة في رواية وطن تاء العبور (رمزية العنوان والموضوعات والشخصيات)

تتعلق قراءة الرواية من خلال تعيين دلالة العنوان ورمزيته، وتبيين أهم الشخصيات المؤثرة والمحركة للمجرى السرد، والتي بها تتعين موضوعات وأحداث الرواية.

1-2 رمزية العنوان:" وطن تاء العبور"

يعد العنوان من عتبات النص المعبر عن دلالته المختصر، ولو فككنا المعنى الظاهر لعنوان الرواية سنجد أن:

- **وطن:** يعبر عن الانتماء والرغبة في الاستقرار، لكنه يتجاوز الدلالة المكانية ليغدو رمزًا للهوية التي تُبنى على القيم والأحلام أكثر من ارتباطها بالمكان وحده.

(1) زليخة مدرقنارو، سؤال الهوية والإنتماء في رواية وطن تاء العبور لوردة زرقين، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد 08، العدد05، ديسمبر 2025، ص:50.

- **تاء العبور**: ترمز "تاء العبور" إلى المرأة بوصفها محورًا للتحولات الاجتماعية والثقافية، كما تعكس سعيها لتجاوز القيود المفروضة عليها والانتقال نحو فضاء أوسع من الحرية والاستقلال.

يحيل عنوان رواية " وطن تاء العبور" إلى ثنائية الصراع بين الاستقرار (الوطن) والتحول أو الانتقال (العبور)، وهو ما يتجلى بوضوح داخل البناء السردي للنص.

1-2 الموضوعات الأساسية التي تعالجها الرواية:

- **المرأة والقيود الاجتماعية**: تقدم الرواية تصورًا عميقًا لمعاناة المرأة العربية مع القيود الاجتماعية والتقاليد التي تحدّ من حريتها، وفي المقابل تُبرز قدرتها على الصمود ومقاومة أشكال الظلم المختلفة.

- **الهوية والانتماء**: تتناول الرواية مسألة الانتماء من زاويتين: انتماء مرتبط بالمكان (الوطن) وآخر مرتبط بالذات (الهوية)، حيث تعيش الشخصيات أزمة في تحديد موقعها داخل مجتمع يفرض قيوده ومعاييره الصارمة، كما تطرح فكرة النضال من أجل التغيير، إذ تنطلق من واقع مليء بالمعاناة لتُبرز تطلعات الشخصيات نحو التحرر والانتقال إلى عالم أكثر عدلاً وإنسانية.

2-2 شخصيات الرواية:

تعرف الشخصية بأنها "كل مشارك في أحداث الحكاية، سلبا أو إيجابا، أما من لا يشارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشخصيات؛ بل يكون جزءا من الوصف. الشخصية عنصر مصنوع، مخترع ككل عناصر الحكاية، فهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصفه ويصور أفعالها، وينقل

أفكارها وأقوالها."[1] ويرى آخرون أن الشخصية" في المعنى الشائع هي مجمل السمات و الملامح التي تشكل طبيعة شخص أو كائن حي"[2] ، وفي مجملها هي المظهر الخارجي والمواصفات التي تميز ذات عن غيرها.

أ- أقسام الشخصية:

تنقسم الشخصية القصصية إلى قسمين: **رئيسية وثانوية،** حيث:

- **الشخصية الرئيسية:** هي التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام في الدراما والرواية أو أي أعمال أدبية أخرى، وتعني الكلمة في أصلها اليوناني المقاتل الأول، وليس من الضروري أن تكون الشخصية الرئيسية بطل العمل دائما، ولكنها دائما هي الشخصية المحورية، وقد يكون ن منافسا أو خصما لهذه الشخصية."[3]

- **الشخصية الثانوية :**تنهض الشخصيات الثانوية بأدوار محدودة إذا ما قورنت بأدوار الشخصيات الرئيسية، قد تكون صديق الشخصية الرئيسية ، أو إحدى الشخصيات التي تظهر في المشهد بين الحين و الآخر، وقد تقوم بدور تكميلي مساعد للبطل أو معيق له وغالبا ما تظهر في سياق أحداث أو مشاهد لا أهمية لها في الحكي، وهي بصفة عامة أقل تعقيدا وعمقا من الشخصية الرئيسية وترسم على نحو سطحي.[4] ، هذه الشخصيات لا تتمتع بدور أساسي في بناء الأحداث إذ لا تقدم سوى تجارب إنسانية بسيطة، من ذاك لا تحظى باهتمام السارد من حيث هيكلة بنائها السردي.

---

(1)لطيف زيتوني، معجمات مصطلحات نقد الرواية "عربي، انجليزي، فرنسي"، دار النهار للنشر ،لبنان، ط1، 2002، ص ص: 113-114.

(2)إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، طبع التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، ع1، 1986، ص: 210.

(3)المرجع نفسه، ص ص: 211-212.

(4)محمد بوعزة، الدليل إلى تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، دار العربية للعلوم ناشرون،رباط،ط1، ص57

ب- **الشخصيات رواية وطن تاء العبور:**

من أهم الشخصيات التي سندرسها في بحثنا الشخصيات النسائية، حيث تظهر شخصيات رواية **"وطن تاء العبور"** بوصفها رموزًا لقضايا أوسع من وجودها الفردي، حيث تمثل الشخصية النسائية المركزية صورة المرأة التي تعاني من قيود المجتمع، وفي الوقت نفسه تتطلع إلى تجاوزها نحو حياة أكثر حرية واستقرار.

أما باقي الشخصيات، فتعكس تنوعًا في الأدوار يعبر عن مختلف التحديات السياسية والاجتماعية التي تسهم في تشكيل الوطن أو تعرقل استقراره وتشوه ملامحه.

- **الشخصيات الرئيسية:**

- **شخصية رفيقة:** وهي الشخصية المحورية في الرواية، والتي تكمن وظيفتها في أنها تمثل المرأة التي تعيش صراعًا نفسيًا واجتماعيًا بين الحب، الأسرة، والواقع المضطرب، وتجسد التحولات النفسية (القلق، الصدمة، الانكسار، الأمل)، وتُعتبر محور الأحداث والتجربة الإنسانية في الرواية.

- **شخصية علي:** الشخصية الذكورية الرئيسية المرتبطة بعلاقة عاطفية مع رفيقة، يمثل الحب والصراع الداخلي بين العاطفة وضغط العائلة (الأم خصوصا)، وله دور أساسي في بناء خط الصراع العاطفي وصدمة رفيقة.

- **الشخصيات الثانوية:**

- **والدة علي:** إذ تلعب دور الشخصية الضاغطة والمؤثرة في قرار علي، وتمثل السلطة العائلية والتقاليد التي تقيد حرية الاختيار، وهي السبب الرئيسي في صراع علي الداخلي وانهيار العلاقة بين رفيقة وعلي.

- **عائلة رفيقة:** محيط اجتماعي داعم نسبيًا لها، عاشت معهم رفيقة لحظات الفرح (مثل الخطوبة) أو التوتر.

3. نبذة عن محتوى الرواية

صدر للكاتبة والصحفية وردة زرقين، مؤخرا، رواية "وطن تاء العبور" من 255 صفحة، عن دار "خيال" للنشر والترجمة. وتُعد "وطن تاء العبور" أول عمل روائي للكاتبة، التي سبق لها أن أظهرت للوجود أعمالا أدبية في حقل القصة، والبحث التراثي، خاصة في شقه الشفوي الشعبي.[1]

رواية "وطن تاء العبور" ليست مجرد رواية وطنية عادية، بل هي محاولة فلسفية وأدبية عميقة لفهم الشخصية الجزائرية وهويتها المتعددة الأبعاد، فمن خلال استعراض ذكي لمسارات وتحولات تاريخية واجتماعية وثقافية نراها وطننا منذ عقود، وصولاً إلى الحراك الشعبي المبارك الذي شكل نقطة تحول جوهرية في تاريخ الجزائر الحديث.

من الناحية التاريخية، تُقدّم الرواية توثيقاً دقيقاً لمرحلة حساسة في الجزائر، حيث تتداخل الأحداث المحلية مع تحولات دولية خاصة في العالم العربي، مما يضفي على السرد عمقاً دولياً يبرز تعقيدات السياسة والهوية في المنطقة، ولم تكتفِ الرواية بالطرح السطحي، بل تنقب في سرديات القوة والصراع التي شكلت المشهد الوطني، مستعرضة كيف تفاعل الفرد والمجتمع مع هذه التحولات الكبرى وتأثر بها، وهو ما يضفي على العمل بعداً تحليلياً نقدياً للتاريخ لا مجرد استرجاع أحداث.

أما من الناحية الثقافية، فقد نجحت الرواية في إبراز ثراء وتنوع الموروث الجزائري، المادي وغير المادي، عبر تسليط الضوء على المناطق التي تمثل نبض الجزائر الحقيقي مثل قالمة، وغرداية،

(1)وطن تاء العبور، الموقع الإلكتروني الموعد اليومي https://elmaouid.dz، يوم: 2026/04/24، على الساعة: 15:18.

ومستغانم، والقالة، وقسنطينة. هذا التفصيل في عرض الثقافات المحلية يمد الرواية بحيوية وصدق، حيث لا تُعرض الهوية ككيان موحد بسيط، بل كنسيج معقد من التقاليد والعادات، ما يكشف الصراعات الداخلية بين الأصالة والحداثة، ويواصل بناء إحساس بالانتماء والتنوع.

الجانب الاجتماعي في الرواية يعكس نبض الحياة اليومية للأسر الجزائرية، بكل تحدياتها وأملها، حيث تتشابك مآسي الفقر والتهميش مع لحظات التسامح والتضامن والوفاء، وهنا تظهر الرواية براعتها في إظهار التوترات والتناقضات التي تعيشها الجزائر، إذ لا تصوّر المجتمع كشكل مثالي، بل ككيان حي يتنفس، يعاني ويقاوم، مستنداً إلى قيم متجذرة كالصدق والإخلاص، مع الالتزام القيمي تجاه الدين الإسلامي الحنيف، الذي يُعرض كمرجعية حقيقية تسهم في تعزيز الوئام الاجتماعي.

والحب بين رفيقة وعلي، رغم ما واجهه من صعوبات وعراقيل سياسية وأمنية، لا يقتصر على كونه علاقة عشق شخصية فقط، بل يعتمد عليها كنوع من مواجهة لمصير وظروف قاسية فرضتها الأوضاع الإقليمية، مما يضفي بعداً رمزياً على العلاقة، فالانتظار والتباعد بسبب الاغتيالات والأحداث الأمنية تُعزز مشاعر الحرمان والانفصال، لكنها في الوقت ذاته تُشكل قوة داخلية تحفز العشق بين الحبيبين.

في صراعهما مع واقع رفض أسرة علي لخطبتهما، نلمس بوضوح البنية المحافظة التي لا تعترف بالحب كقيمة كافية للزواج، بل تشترط المقاييس التقليدية كالتحصيل العلمي والطبقي، ما يدل على كيف أن العلاقات الإنسانية في المجتمع الجزائري غالباً ما تُقيّد بأطر اجتماعية جامدة.[1]

(1)ينظر: وردة رزقين، رواية وطن تاء العبور، دار خيال للنشر والترجمة ، الجزائر، ط1، 2004.

4. أصناف التراث الموجودة في الرواية:

تعج الرواية بالكثير من الأصناف المادية واللامادية وغيرها مما يدل على أنها تعزز الموروث الشعبي ؛ مثل الأمثال ، الأغاني، التقاليد، الممارسات والمهارات الشعبية، والتراث العمراني .

ففي تراث الأغاني نجد الأهازيج الشعبية كالأغاني الوطنية والثورية ، مثل أغنية:

"يا اللي تحب لافريك دي نور

شاركنا في الوطنية

دافع على الدرابو المنصور

تحيا الدولة الجزائرية"

تمثل هذه أغنية من الأغاني الشعبية الثورية المرتبطة بالمقاومة والتحرر الوطني وتعبر عن الهوية والانتماء الوطني.

وفي الأغاني أيضا نجد أغاني التنويم مثل أغنية:

"ننى ننى يا بشة.. واش نديرو للعشا

نديرو جاري بالدبشة.. نعطي لوليدي يتعشى"

وهي نوع من التراث الشفهي المرتبط بالطفولة والأسرة، ويعكس مشاعر الحنان والرعاية.

أما في التراث الشعري الشعبي؛ نجد الشعر الملحون ، مثل:

"يا سائلني على العشق واش نقول

وإذا قلت في العشق يطول قولي"

فهذا نموذج من الشعر الشعبي الجزائري (الملحون) المكتوب باللهجة العامية والمعبر عن الوجدان الشعبي.أما في التراث المادي نجد المعالم والمواقع الأثرية ، ففي المعالم الدينية نجد "المسجد

العتيق الذي تأسس في 1340 من طرف السلطان أبي الحسن بن عثمان"، الذي يمثل التراث المعماري الإسلامي.

وفي المواقع الأثرية نجد القصور والدور التاريخية؛ ك "دار القايد"، "دار المفتي"، "دار الشعراء". إذ تمثل هذه المواقع الأثرية التراث العمراني والتاريخي للمدينة. كما نجد الحصون والمنشآت الدفاعية ك "حصن العرصة"، الذي يعد شاهدا على التراث العسكري العثماني.

وفي المتاحف نجد "متحف المجاهد"، و"متحف الفنون الشعبية"، وهي مؤسسات تحفظ الذاكرة الوطنية والتراث الشعبي.

وتحدث الكاتب في روايته عن الأحياء القديمة والمنارات، فيقول "منارة كاب إيفي وأحياء مستغانم القديمة"، وهي جزء من التراث العمراني والتاريخي. ونجد الرواية تزخر بالتراث الديني والروحي، كالزوايا والمديح الديني ؛ ففي الزوايا نجد "زاوية سيدي لخضر بن خلوف"، التي تعد مؤسسة دينية وتعليمية مرتبطة بالتصوف والهوية الدينية. أما في المديح نجده يتحدث عن "سيدي لخضر بن خلوف مداح الرسول".

وزخرت الرواية أيضا بأنواع أخرى من التراث ، كالتراث الاحتفالي والعادات والتقاليد (حفلات الخطوبة والاعراس، مهرجان السبيبة، الوعدات، التراث اللباسي، التراث الغذائي)، التراث الشفهي كالأمثال الشعبية .

I.دراسة الأبعاد النفسية في رواية وطن تاء العبور لوردة زرقين

اتخذ الاتجاه النفسي وجوده في الأدب من خلال توجه النقاد والباحثين إلى تطبيقه على النص الأدبي الإبداعي، خاصة الرواية فنشطت العديد الأقلام الدارسة لنفسية الكاتب والشخصيات داخل الرواية، للبحث عن الأعراض الانفعالية المختلفة، كالخوف والألم، الحب الكراهية، القلق، إثبات الذات، كما تبرز أثر المكبوتات في تكوين شخصية الأبطال وسلوكها داخل المكون الروائي.

يعمل الاتجاه النفسي على البحث عن هذه المعطيات النفسية، وتجليتها للقارئ، لما لها من حظوة في إرساء النصوص ودفع المبدع لبناء نصه المتخيل، وهذا ما سنعمد إليه في ورقات البحث المتبقية من أجل كشف أهم الأبعاد النفسية في رواية وطن تاء العبور للكاتبة الجزائرية وردة رزقين، لكن ليس من جانب دراسة أحوال الشعورية واللاشعورية الشخصيات، إنما من خلال استحضار التراث الشعبي الجزائري المتنوع

يعقد لب الدراسة على استخراج هذه الأبعاد النفسية للموروث، بناء على طريقة سرداها وتنوعها في الرواية، والتي تمحور وجودها حول:

- الشعور بالانتماء والاعتزاز بالهوية الوطنية الأصيلة
- الانفعالات والمكنونات النفسة الفردية
- والشعور النفسي الجمعي.

نسعى لتفتيق هذه المحاور الثلاث بناء على نصوص تراثية مأخوذة رأسا من الرواية العينة وتفسيرها بما يتناسب والاتجاه النفسي.

1. الشعور بالانتماء للتراث الشعبي والاعتزاز بالهوية الوطنية الأصيلة

أن أكثر المجالات التي تبرز عمق العواطف والانفعالات الفرد قوة ارتباطه بمجتمعه ومقومات وطنه، والدفاع عنها بكل السبل، من ذاك كان لتواجد التراث في الرواية العينة وجه من الشعور بالانتماء إلى الهوية الوطنية والاعتزاز بالانتماء إلى تراث مجتمعنا الجزائري.

1-1 بعد الشعور بالانتماء:

يُعتبر تقدير الذات والثقة بالنفس من الركائز الأساسية في التوازن النفسي، إذ يعكسان نظرة الفرد الإيجابية لذاته وقدرته على اتخاذ القرارات والدفاع عن اختياراته، مما يساهم في بناء شخصية مستقلة وواضحة المعالم.

تنفتح رواية "وطن تاء العبور" على أسئلة الهوية والانتماء، وتُبرز تحوّلات الذات في ظلّ واقع اجتماعي وتاريخي وثقافي متغيّر، إذ تمثّل الرواية نافذة لفهم المجتمع الجزائري من خلال استحضار ماضيه وواقعه، وما يشهده من تحوّلات أثّرت في بنية الهوية الجماعية والفردية.

ويتجلى ذلك بوضوح في رواية الكاتبة، حيث تُترجم هذا الطرح عبر عدد من الأقوال والمقاطع السردية، من أبرزها:

" واش تتمنى؟،علي: أولا رضاية الوالدين.. ثانيا الأمن والاستقرار في البلاد... وثالثا تكوني أنت أم أوالدي.."[1]

حيث لم تكتفي الرواية بسرد الأحداث بل تتعمق في طرح سؤال الهوية والانتساب، فمن خلال تجسيد شخصياتها ورصد يومياتها، قدمت لنا هذه الرواية رؤية شاملة عن الكفاح الوطني، وموروثنا الثقافي، الذي ساهم في إنماء الهوية.

[1] وردة زرقين، رواية وطن تاء العبور، دار خيال للنشر والترجمة، الجزائر، ط1، 2004، ص: 11.

ويتجسد الانتماء في حضور فئات مختلفة من المجتمع وهي تتحدد للمطالبة بحقوق اجتماعية وسياسية واقتصادية مشترك،مما يدل على شعور جماعي للتغيير والاصلاح.

فهذه الفئات المختلفة تزيد من شعور الانتماء للوطن ورغبة في الدفاع عنه؛ ففي مطلع الرواية قالت الكاتبة: " في هذه الأثناء.. سمعت رفيقة هتافات من الخارج.. نهضت مسرعة وفتحت النافذة.. فئات من مختلف شرائح المجتمع حاملين شعارات ويهتفون مطالبين بإصلاحات اجتماعية وسياسية واقتصادية بعد أن دخلت الجزائر في أزمة اقتصادية عقب الأزمة البترولية لسنة 1986م" [1]، فتتجلى الهوية التاريخية من خلال ذكر الأزمة الاقتصادية التي ظهرت بعد أزمة البترول لسنة 1986م، إذ يمثل هذا التاريخ مرحلة حاسمة في الواقع الاجتماعي والسياسي،وباختصار يمكن القول بأن هذا المقطع يقود إلى تكوين انتماء شعبي يعبر عن تطلعات المجتمع في مواجهة الأزمات والمحن.

وهذا ما نلحظه أيضا في ما ورد عن رفيقة عندما طلب منها بسام أن تردد له أغنية عن الثورة:[2]

يا لي تحب لافريكدي نور
شاركنا في الوطنية
دافع على الدرابو المنصور
تحيا الدولة الجزائرية
فرنسا كي جنت وعتات
عادت تلبس في البنات

[1] المصدر نفسه، ص: 02
[2] المصدر نفسه، ص ص:186- 187-188

طلع فيهم لكريبطات

وتقول الجزائر ليا

يا اللي تحب لافريك دي نور

شاركنا في الوطنية

دافع على الدرابو المنصور

تحيا الدولة الوطنية

العش والدمار انطلق

حتى للحمار

فرنسا ركبت في ليشار

وتحوس في كل دوار

وتقول الجزائر ليا

يا اللي تحب لافريك دي نور

شاركنا في الوطنية

دافع على الدرابو المنصور

تحيا الدولة الوطنية

دافع على الدرابو المنصور

تحيا الدولة العربية

فرنسا يا الغدارة

تحارب فينا بالطيارة

حنا عرب ماناش نصارى

وبربي ندو الحرية
يا اللي تحب لافريك دي نور
شاركنا في الوطنية
دافع على الدرابو المنصور
تحيا الدولة الجزائرية.

إذ تُجسد هذه القصيدة الشعبية أحد أشكال التعبير الجماعي المرتبطة بفترة المقاومة والتحرر الوطني، إذ تعكس مشاعر الانتماء الوطني والاعتزاز بالهوية الجزائرية في مواجهة الاستعمار الفرنسي، وتبرز فيها النزعة الوطنية من خلال تمجيد الوطن والدعوة إلى الدفاع عنه، مع تأكيد الخصوصية الثقافية والدينية للشعب الجزائري.

يتجلى الانتماء الوطني بوضوح في هذه القصيدة من خلال الدعوة المباشرة إلى الدفاع عن الوطن والانخراط في القضية الوطنية، كما يظهر في قول الشاعر الشعبي:

"دافع على الدرابو المنصور
تحيا الدولة الجزائرية "

يحمل "الدرابو المنصور" (العلم المنتصر) دلالة رمزية قوية، إذ يمثل رمز السيادة والوطن والاستقلال. والدعوة إلى الدفاع عنه تعكس ارتباط الفرد بأرضه وشعوره بالمسؤولية تجاهها. كما أن تكرار عبارة "تحيا الدولة الجزائرية" يكشف عن حضور وعي جماعي يؤمن بكيان وطني مستقل.

ويتأكد هذا البعد أيضًا في قول النص:

"يا اللي تحب لافريك دي نور
شاركنا في الوطنية"

إذ تحمل هذه العبارة دعوة صريحة إلى المشاركة الجماعية في الوطنية، مما يدل على أن الانتماء لا يقتصر على الشعور العاطفي، بل يتحول إلى ممارسة فعلية تتمثل في التضامن والمقاومة والدفاع عن الوطن. فالوطنية هنا تُقدَّم بوصفها واجبًا جماعيًا.

كما تبرز الهوية الوطنية والثقافية والدينية في القصيدة من خلال التمييز بين الذات الجزائرية والآخر المستعمر، كما في قول الشاعر:

"حنا عرب ماناش نصارى

وبربي ندو الحرية"

فهذا المقطع يكشف لنا عن الهوية الجماعية التي يستند إليها الشعب الجزائري في مواجهة المستعمر، حيث يتم التأكيد على الانتماء العربي والإسلامي باعتباره عنصرًا من عناصر التماسك الثقافي والروحي. كما أن توظيف عبارة "وبربي ندو الحرية" يعكس البعد الإيماني في مقاومة الاحتلال، ويبرز دور العقيدة في تعزيز الصمود.

كما تتجلى الهوية الوطنية من خلال تصوير المستعمر بوصفه طرفًا غريبًا ومعاديًا:

"فرنسا يا الغدارة

تحارب فينا بالطيارة"

يتضح هنا بناء ثنائية الهوية: نحن (الجزائريون أصحاب الأرض) مقابل هم (المستعمر الفرنسي). فالشعور بالهوية يتقوى غالبًا في ظروف الصراع، إذ يُعاد تأكيد الخصوصية الوطنية والثقافية عبر رفض الآخر المستعمر ومقاومته.

ويتجلى كذلك ظهور الانتماء من الناحية الاجتماعية والدينية في كيفية تصوير الرواية للحياة اليومية للأسرة الجزائرية، فهذه العادات تكرس شعور الوحدة الوطنية والولاء للأرض والناس.

رفيقة: أنتما اطهلاوفي الحلويات.. وأنا راني لاتية بالجهاز...، فريدة: **"قندورةالقطيفة"**تاع الحنة راهي عندك من قبل..، وحتى **"الكراكو العاصمي"**.. واش مازال..؟،**"البلوزة الوهرانية "**،رفيقة: قريب نكمل .. وتبقى **"الجبة القبائلية" والملحفة الشاوية".. والمنصورية التلمسانية"**نخرج في نهار نشريهم..، فريدة: يعني أنت حابة ديري ديفيليدوموود.. هههه..، رفيقة: إيه.. حابة نلبس كل أنواع اللباس الجزائري.. هههه..،هذا تراثنا.. وعلاش لا..؟[1].

حيث تعبّر عن رغبتها في ارتداء مختلف الألبسة التقليدية الجزائرية بوصفها رموزًا حضارية متوارثة، فعبارة "هذا تراثنا" تشير إلى شعور قوي بالانتماء الجماعي، واعتزاز بالموروث الشعبي الذي يميز المجتمع الجزائري عن غيره من الشعوب.

ويُعدّ الطعام التقليدي أحد أبرز مظاهر الثقافة الشعبية، إذ يرتبط بالمناسبات الاجتماعية ويعكس عمق الانتماء إلى العادات والتقاليد، خاصة في الاحتفالات العائلية التي تُبرز روح الجماعة والتكافل، وتجسد ذلك في الرواية في غداء حفلة خطوبة رفيقة؛" أقامت فاطمة مأدبة غذاء للمعزومين على شرف ابنتها رفيقة.. تم تقديم أطباق تقليدية جزائرية من "شربة الفريك" و"الشخشوخة" و"اللحم لحلو" مع السلطة.. إلى جانب العصير والفواكه.. في جو بهيج.. مأل البيت فرحا وسعادة.." [2].

منا يدل على تنوّع الأكلات في المجتمع الجزائري، حيث تحمل كلّ أكلة دلالة رمزية مرتبطة بالفرح والكرم والاحتفاء بالمناسبة، مما يجعل المائدة فضاءً لتجسيد الهوية الثقافية وتعزيز الروابط الاجتماعية.

[1] المصدر نفسه، ص:36.

[2] المصدر نفسه: ص:37.

2-1 بعد الشعور بالفخر للانتماء للتراث:

إذ يتجلى هذا البعد في الرواية من خلال المواقع الأثرية التي ذكرتها الكاتبة في روايتها في قولها:

"...المواقع الثقافية والتاريخية والزوايا التي تزخر بها.. منها "المسجد العتيق" الذي تأسس في 1340 من طرف السلطان أبي الحسن بن عثمان... وكذا حصن "العرصة" الموجود بأعالي مدينة مستغانم في الأحياء القديمة لها.. ومتاحف تحافظ على الذاكرة التاريخية..."

ومنه يمكن تحديد المواقع الأثرية الآتية :

- المسجد العتيق:معلم ديني وأثري بارز في مدينة مستغانم، تأسس عام 1340م على يد السلطان أبي الحسن بن عثمان.

يطلق عليه أيضا"المسجد المريني، من أبرز المساجد التاريخية بمدينة مستغانم في الجزائر. بُني الجامع على يد سلطان بني مرين، أبو الحسن المريني، وذلك في العام 1340 م. رمم المسجد عدة مرات في الفترات اللاحقة مما أثر على أصالته جراء استخدام مواد لا تتناسب مع تصميمه المعماري وحقبته التاريخية" .

- دار القايد (متحف الفنون الشعبية):كانت قديماً الإقامة الخاصة لممثل الباي لمعسكر، وتعرف بـ "دار حميد العبد" الذي أسسها وهو أمير البايلك في العهد العثماني، وتحولت لاحقاً إلى متحف للفنون الشعبية، " فهو عبارة عن منزل عربي، تم بناء هذا المعلم في العهد العثماني بحيث كان نزل مصطفى قايد المسراتي احد الشخصيات التي كانت لهم نفوذ وسلطة في تلك الفترة يتكون المنزل من واجهة أمامية، به طابقين طابق ارضي وعلوي يحتويان على سقيفة وصحن وعقود متصلة بأعمدة وغرف الدار وإيوان وبمبادرة من الولاية أصبح متحفا للفنون الشعبية، وقد تم ترميمه سنة 1998م. سجل في قائمة الجرد الإضافي في 24 فيفري 2009" .

- دار المفتي:منزل أثري كان يسكنه مفتي مستغانم "قارة مصطفى".
- دار الشعراء (قصر الشعراء):صرح ثقافي وأثري تأسس عام 1732م بأمر من الباي محمد الكبير، وكان مركزاً لتجمع الشعراء والمثقفين .
- حصن "العرصة": يعد بمثابة حصن دفاعي وأثري يقع في أعالي مدينة مستغانم بالأحياء القديمة، يجسد التراث العسكري والتاريخي للمدينة وقدرتها على الصمود عبر العصور.

و " يعود تاريخ بناء هذا الحصن إلى العهد العثماني، اختلفت الآراء في تاريخ بنائه حيث يرى البعض أن' حميد العبد" احد أمراء العرب في المنطقة والبعض الأخر يؤكد على أن البابوشلاغم هو الذي بناه قبل وفاته سنة1737إلا أن عامة الناس تؤكد على أن برج بني من طرف الأول ورمم من طرف الثاني، وقد استعمل هذا المعلم في الفترة الاستعمارية إلي برج المراقبة على المدينة وغداة الاستقلال والى غاية1980م، وفي سنة1998 أجريت له عملية ترميم، صنف وطنيا سنة 1998، أصبح متحفا للآثار لمستغانم سنة 2004م" .

- متحف المجاهد: وهو مؤسسة متحفية تعنى بجمع وحفظ التراث التاريخي المرتبط بالذاكرة الوطنية وتاريخ المنطقة، وهي متوزعة في كامل ربوع الوطن.
- منارة "كاب إيفي" وأحياء مستغانم القديمة (تيجديت، المطمور، الطبانة): وهي معالم عمرانية تشمل منارة بحرية وأحياء شعبية عريقة تشبه في تصميمها "قصبة" الجزائر العاصمة .
- زاوية "سيدي لخضر بن خلوف ": مقام وزاوية مخصصة للولي الصالح والشاعر الشعبي الشهير سيدي لخضر بن خلوف "مداح الرسول".

وتعرف الزاوية بأنها " مؤسسة دينية إسلامية ذات طبيعة اجتماعية روحية" ، فهي إذا مدرسة قرآنية تتصل بها كل أشكال التعليم.

تتجلى مشاعر الفخر والاعتزاز بالتاريخ من خلال هذه المواقع الأثرية بإبراز العراقة وربط المعالم بشخصيات تاريخية وسلاطين (مثل السلطان أبو الحسن والباي محمد الكبير)، مما يعكس الاعتزاز بجذور الدولة ومؤسساتها القديمة، ووصف المواقع التي "تزخر بها" المنطقة، مما يوحي بالغنى الثقافي والقيمة المعنوية التي تمثلها هذه الأماكن في وجدان سكان المنطقة.

وترتبط هذه المواقع بالتراث ارتباطاً وثيقاً باعتبارها تراثاً مادياً؛ تمثل العمارة الإسلامية والعثمانية (مساجد، حصون، قصور، المتاحف...) التي تشكل الهوية البصرية للمدينة والشواهد الفيزيائية الملموسة على الإبداع الهندسي والعمراني عبر العصور، ووعاءًا للذاكرة إذ تحولت بعض هذه المعالم إلى متاحف، وهي الوظيفة التي تضمن استدامة التراث وحمايته من الاندثار، ونقله للأجيال القادمة كشاهد على الحضارة والأصالة.

كما أن لهذه المواقع (خاصة الزوايا كزاوية سيدي لخضر بن خلوف) ارتباط وثيق بالعادات، التقاليد، المديح الديني، والمواسم الشعبية مثل "الوعَدات"، وهي جوهر التراث الثقافي غير المادي.

وتكمن أهمية المواقع الأثرية والمعالم التاريخية في كونها الركيزة الأساسية لحفظ الذاكرة الجماعية وترسيخ الهوية الوطنية والأصالة لدى المجتمع، حيث تعمل كحلقة وصل متينة تربط الحاضر بالماضي وتصون التاريخ الوطني والثوري من الزوال؛ ويتجلى ذلك في النص من خلال «متحف المجاهد بساحة الثورة» ومتاحف المدينة التي «تحافظ على الذاكرة التاريخية المتعلقة بتاريخ مستغانم».

كما تكتسي هذه المعالم أبعاداً تنموية وثقافية بارزة بصفتها منارات للإشعاع الفكري والفني والديني تبرز الإرث الحضاري للمنطقة عبر العصور، تماماً مثل «قصر الشعراء الذي كان أحد إشعاعات الشعراء والمثقفين» ومتحف «دار القايد الخاص بالفنون الشعبية».

ولا تقتصر أهميتها على الجانب المادي فقط، بل تمتد لتشمل حماية التراث الروحي واللامادي للمجتمع، وهو ما تمثله «الزوايا المتواجدة بالمنطقة والوعدات التي تقام هناك»، لتبقى هذه المعالم شاهداً حياً على عراقة المنطقة وأصالتها.

ويمكن القول أن المواقع الأثرية والتاريخية تُولّد في الرواية مشاعر مختلفة لدى الإنسان، أهمها الفخر والاعتزاز بتاريخ المنطقة وعراقتها، لأنها تذكّر بالماضي والشخصيات التاريخية التي مرت بها، كما تمنح شعوراً بـ الانتماء والارتباط بالمكان، وتجعل الفرد يحس بقيمة تراثه وهويته، وتثير أيضاً الإعجاب والحنين إلى الماضي عند رؤية الأحياء القديمة، الزوايا، الحصون والمساجد، لما تحمله من ذكريات وآثار تاريخية، فتُشعر الإنسان بقيمة تاريخه وضرورة الحفاظ عليه.

3-1 بعد حفظ التراث وصونه من الاندثار:

لا يقتصر حضور الموروث الشعبي على وظيفته السردية فحسب، بل يتجاوزها ليعبر شعور الانتماء إليه عن شعور نفسي عميق بالمسؤولية تجاه حماية الذاكرة الجماعية والحفاظ على الموروث الثقافي للأجيال القادمة، حيث نجد ذلك حاضرا في " في صبيحة يوم الخميس من شهر جوان – حزيران- اجتمعت فاطمة ويمينة وسعيدة وزهرة في بيت رفيقة لإعداد الكسكس الجزائري الأصيل، أي " الفتيل"...هي عادة ورثتها النساء اللائي يحترفنه باتقان وتفنن وأصالة

المرأة الجزائرية، أحظرت رفيقة 150 كيلوغرام من الدقيق للفتيل وكل لوازم العملية...جلست الحرائر قصع العود...وشرعنا في عملية الفتيل...يمينة: أنت مهمتك تفوري الكسكسي بعد ما نخدمو " التساقط" و " البريم" و" الرفيد" انتي ديري " "التفوار" و تنشري الكسكسي على لحاف حتى يبس...،سعيدة: " وهي " تبرم الكسكسي": بكري المرا اللي ما تعرفش تفتل راهي ناقصة وعار عليها متتعلمش الفتيل ....، يمينة: صح بكري ...حتى كي كانوا يروحوا يخطبوا الطفلة يسقسيو إذا تعرف تفتل ولا لا، أما بنات اليوم...ميهمهمش خلاص في هذ العادات...خسارة ...العادات تاعنا بدات تروح".

تظهر لنا الشخصيات وعيهن الكبير بأهمية الموروث الثقافي الذي توارثته الحرائر جيلا بعد جيل، حيث تجتمع النسوة في منزل واحد وتتشاركن العمل والغناء ويتجاذبن أطراف الحديث في جو بهيج يولد شعورا بالوحدة والتكافل، فالعمل الجماعي يخلق نوعا من الدعم النفسي، والكاتبة في هذه الرواية سعت لإبراز المرأة الجزائرية القديمة بوصفها متقنة لمهارة إعداد الكسكس لذلك يمكن اعتبار هذا الموروث مصدرا للشعور بالثقة بالنفس والاعتزاز بالقدرات المتوارثة، ويزداد حضور هذا البعد النفسي وضوحا من خلال الحوار الذي دار بين الشخصيات، حيث عبرت عن حزنها وأسفها بعدم اكتراث الفتيات بتعلم المهارات، واستحضرت صورة المرأة في الماضي الذي كانت تحرص على اكتساب مختلف المعارف المرتبطة بالحياة اليومية ويعكس هذا الخطاب حالة من القلق النفسي والخوف من انقطاع سلسلة التوارث الثقافي، فتحضير " الفتيل" لا يمكن اعتباره مجرد اعداد وجبة غذائية، بل هو جزء من الذاكرة الجماعية والهوية الثقافية للمجتمع الجزائري، ويبرز هذا الشعور في ازدراء النساء من فتيات الحاضر بعدم المامهن بهذه المهارات والخبرات التقليدية، وتأسفهن لتراجع الاهتمام بالعادات الموروثة، كما يعكس حديثهن الاصرار

الكبير لتعليم هذه الحرفة النفسية على استمرارية التراث وانتقاله إلى الأجيال القادمة وحفظه من التلف، ومن هنا فهو يصبح مصدرا للشعور بالواجب تجاه حماية الموروث من النسيان والضياع.

2. الانفعالات والمكنونات النفسة الفردية

تتمثل في جملة الانفعالات التي يعيشها الفرد منا كالألم والفرح والسعادة والحزن، وكل ما يشغل عاطفته وشعوره من شأنها أن تؤثر على مزاجه وفكره ونمط عيشه ككل. وقد يؤثر وجود التراث في حياتنا، وممارسته في انفعالاتنا وسلوكاتنا، وهذا ما سنوضحه من خلال شخصيات الرواية وعلاقتها النفسية بالتراث.

1-2 بعد الفرح والحيوية:

يُعدّ بعد الفرح والحيوية من الأبعاد النفسية الإيجابية التي تعبّر عن حالات السرور والانشراح والنشاط التي يعيشها الإنسان في مواقف الفرح والاحتفال والتواصل الاجتماعي. ويظهر هذا البعد في التعبيرات الشعبية والأدبية من خلال صور البهجة والمرح والحركة والحماس، مما يعكس الطاقة الإيجابية داخل الفرد والجماعة. كما يرتبط هذا البعد بوظيفة اجتماعية ونفسية مهمة، إذ يسهم في تعزيز التفاعل بين الأفراد، ونشر روح التفاؤل، وتقوية الروابط الاجتماعية داخل المجتمع.

ونجد هذا البعد متجسدا في الرواية من خلال العديد من المواقف فنجدها تقول: "في مساء ذلك اليوم.. دخل أهل العريس على وقع الزغاريد.. محمّلين بالعديد من الهدايا في طبق وردي اللون مزيّن بمختلف أنواع الورود.."

ويتصور هذا البعد في هذه العبارة من خلال الزغاريد والتي هي عبارة عن ممارسة تراثية تعبر عن إعلان الفرح والمشاركة الجماعية في الاحتفال من خلال تكرار عبارة "يوييوييويو" ،

فالولولة هي عنصر جوهري في التراث الشعبي العربي والمغاربي، وتُعد الإعلان الصوتي الرسمي عن "الفرح الكبير"، إذ يخلق هذاالجوالحيوية والبهجة، مما يكسر روتين الحياة اليومية ويحولها إلى احتفالية استثنائية.

ويعزز الشعور بالانتماء للجذور والافتخار بالأصل، كما تمنح العروس شعوراً بالتقدير والمحبة.

وفي عبارة أخرى نجد:"... في جوٍّ بهيجٍ.. ملأ البيت فرحاً وسعادةً."

حيث تترك هذه الأجواء التراثية المبهجة آثاراً نفسية عميقة، والمتمثلة في الشعور بالانتماء والالتفاف حول العائلة في اللحظات السعيدة يقوي المناعة النفسية للفرد، كما تحول البيت إلى مصدر للطاقة الإيجابية "ملأ البيت فرحاً" يطرد مشاعر القلق والتوتر.

ويتجلى هذا البعد في الرواية من خلال مهرجان السبيبة الذي يقام كل سنة موازاة مع مناسبة عاشوراء والذي يحضره كل سياح المنطقة والسياح الأجانب، وسمي مهرجان ثيمولاوين ومن ثمة يحتفلون بالسبيبة ويشطحوا على أهازيج النساء ويكون فيه عرض الملابس التقليدية للطوارق، وفيها أيضا مسابقة للمهاري ...وفي يوم عاشوراء ينطعواتيلالنوهو الحفل الختامي يبدأ من الصباح حتى تغرب الشمس ...والسبيبة يلتقي التبيلتانالمعليتانآل أورارن و آل تارورفيت ليحتفوا معاهدة السلام التي اتفقوا عليها منذ آلاف السنين .

مما يكشف عن الحضور القوي للتراث الشعبي في الرواية، من خلال استحضار مهرجان السَّبِيبة بوصفه موروثًا ثقافيًا واجتماعيًا عريقًا لدى مجتمع الطوارق، فقد وظّف الروائي هذا الاحتفال الشعبي لإبراز خصوصيات البيئة الصحراوية وعاداتها وتقاليدها المتوارثة عبر الأجيال، حيث تتجلى مظاهر التراث في الأهازيج النسوية، والرقصات الجماعية، وعروض الأزياء التقليدية، وسباقات المهاري التي تشكل جزءًا من الهوية الثقافية للمنطقة.

إذ تسهم طقوس السَّيبة في خلق مشاعر الفرح والانتماء والاعتزاز بالهوية الثقافية، فالمشاركة في الرقصات والأهازيج والعروض التقليدية تمنح أفراد المجتمع إحساسًا بالتماسك والتواصل، وتُجدّد ارتباطهم بذاكرتهم الجماعية وموروثهم الثقافي.

2-2 بعد الحزن والألم والولع الشديد:

يُعدّ الحزن والألم والولع الشديد من أبرز المشاعر النفسية التي يعيشها الإنسان في مواقف الفقد أو الشوق أو التعلق العاطفي العميق، إذ تعبّر هذه الأحاسيس عن حالة وجدانية تمزج بين المعاناة والحنين والاشتياق، وقد شكّلت هذه المشاعر حضورًا واضحًا في التعبيرات الأدبية والشعبية باعتبارها انعكاسًا صادقًا لتجارب الإنسان النفسية والعاطفية.

وتمثل هذا البعد في رواية وطن تاء العبور فيما يلي :

قصيدة شعرية ألقتها رفيقة على وحيد تقول فيها:

"يا سَائِلْني على العَشْق واش نقولْ
وإذا قلتْ في العَشْق يطولْ قولي
هي كلمة والّي ما يعرفْ سِرّها معلولْ
والّي ما جَرّبْ مَذاقها راه فُضُولي
تسكنْ لِجْوارحْ ما دَقْدَقْ بابْ مقفولْ
وتَسْري في البَدَانْ وتْحَلّْ حلولْ
ولا تعرفْ سِرّها كلّ شْيء مَجهولْ
تَسْبي العقولْ عن وَصْف المَعقولْ
لا نظرة نقولكْ تخلّي الحاضرْ مَخْبولْ
ولا همسة تخلّي لفريسة كالوردْ المذبولْ

راجَعْتُ التاريخْ بين سايلْ ومسؤولْ
يا تراه العَشْق مكتوبْ ولّا قولولي؟"

يظهر الولع الشديد بالحب والعشق كقوة غامضة ومسيطرّة على الإنسان في هذه القصيدة الشعبية، إذ تصف العشق بأنه سرّ معلول وطويل القول، ولا تجد العقول الكلمات المناسبة لوصفه ("تَسْبي العقول عن وصف المعقول")، ثم ينتقل العشق ليصبح حالة تسري في الجسد وتتحكم في الجوارح ("وتَسْري في البَدَان وتْحلّ حلول")، مما يجعله شغفاً متمكناً من الوجدان.

كما نجد بعد الحزن مرتبط بالقصيدة إرتباطا وثيقا، وذلك من خلال الانهيار والبكاء مباشرة بعد انتهاء رفيقة من سرد الأبيات، أجهشت بالبكاء وتوقفت، مما يدل على أن الكلمات لم تكن مجرد غزل، بل كانت تفجيراً لشجن داخلي وألم دفين.

وترتبط هذه القصيدة بالتراث الشعبي من خلال اللغة المستعملة (اللهجة العامية)، فالأبيات مكتوبة بـ الشعر الملحون (الشعر الشعبي الجزائري)، باستخدام مفردات عامية فصيحة الأصل مثل: "واش رايك"، "الّي ما جرّب مذاقها راه فضولي"، و"دقّدق باب مقفول".

كما يظهر بعد الحزن في انعزال رفيقة ومعاناتها:

"فكانت أحزانها تتحدث بصمت.. وانطلقت رحلتها مع العذاب والشقاء.." .

يظهر هذا المقطع حالة انغلاقوانسحاب تعيشها "رفيقة"، إذ تتحول أحزانها إلى مشاعر صامتة لا تُعبَّر بالكلام، بل تظلّ مكبوتة في داخلها كألم مستمر، هذا الصمت يعكس شدة معاناتها وانكسارها النفسي أمام ما مرّت به من خيبات.

إذ تتجسد هذه المرحلة في ابتعاد "رفيقة" عن محيطها ودخولها في حالة من العزلة، حيث تصبح حياتها أشبه برحلة من الحزن والمعاناة الداخلية، مما يكشف عن عمق الجرح النفسي الذي تركته التجارب الصعبة في شخصيتها.

ومن خلال ما سبق، يتضح أن بعد الحزن والألم والولع الشديد يُعدّ من الأبعاد النفسية البارزة التي تعكس عمق التجربة الشعورية للإنسان، إذ يكشف عن حالات الانكسار العاطفي والاشتياق والمعاناة النفسية الناتجة عن الفقد أو البعد أو شدة التعلق، كما يُجسّد هذا البعد الجانب الوجداني في التراث الشعبي، الذي عبّر عن مشاعر الإنسان بصدق وعفوية، فجاءت الأشعار والأمثال والحكايات محمّلة بصور الألم والحنين واللوعة.

ولا يقتصر أثر هذا البعد على التعبير عن المعاناة فقط، بل يمتد إلى إحداث نوع من التنفيس النفسي، إذ يجد الفرد في هذه التعبيرات ما يواسي مشاعره ويمنحه الإحساس بالمشاركة الوجدانية، مما يعزز ارتباطه بتراثه الشعبي بوصفه مرآةً لمشاعره وتجارب مجتمعه.

3-2 بعد الطمأنينة والأمان النفسي:

يمثل هذا البعد الخاص بأغاني تنويم الرضع من الأبعاد المهمة في التراث الشعبي الشفهي، إذ تمثل هذه الأغاني شكلاً بسيطًا وعفويًا من التعبير الذي تستخدمه الأم أو المُربية لتهدئة الطفل ومساعدته على النوم، وتتميز هذه الأغاني بإيقاعها الهادئ وتكرارها اللغوي، مما يخلق جوًا من الطمأنينة والأمان النفسي لدى الرضيع.

كما تعكس في الوقت نفسه جانبًا من الثقافة الشعبية المرتبطة بالطفولة والأسرة، حيث تختزل هذه الأغاني مشاعر الحنان والرعاية، وتُعدّ وسيلة تربوية ونفسية تهدف إلى تهدئة الطفل وتعزيز إحساسه بالاستقرار العاطفي.

ومن بين الأغاني التي نجدها مذكورة في الرواية هي:

"ننّي ننّي يا بشة.. واش نديرو للعشا

نديرو جاري بالدبشة.. نعطي لوليدي يتعشى

ننّي ننّي يا بشة.. واش نديرو للعشا

نديرو جاري بالدبشة.. ولي بربوشة بالكرشة
نني نني جاك النوم.. وخديداتكبوقرعون
أمك فضة وبوك نجوم.. يسهروا في بلاد الروم
نني نني جاك النوم
وخديوداتكبوقرعون
أمك فضة و بوك نجوم
يسهروا في بلاد الروم
نني نني يا بشة
واش نديرو للعشا
نديرو جاري بالدبشة
نعطي لوليدي يتعشى
نني نني جاك نعاس
وخديوداتكبومهراس
بوك فضة امك نحاس
يسهروا في بلاد ناس
نني نني يا بشة
واش نديرو للعشا
نديرو جاري بالدبشة
ولي بربوشة بالكرشة
نني نني يا بشة

كي يجي باباك يتعشى
يعطينا دورودورو
ونشرو كبش بقرونو
ني ني يا بشة
واش نديرو للعشا
نديرو جاري بالدبشة
نعطي لوليدي يتعشى
ني ني جاك النوم
أمك قمرة وبوك نجوم
وأنت ثميرة في عرجون
وحويتة في بحر تعوم
ني ني يا بشة
واش نديرو للعشا
نديرو جاري بالدبشة
ولي بربوشة بالكرشة
ني ني جاك نعاس
أمك قمرة وبوك نحاس
وأنت وريدة في قرطاس
قل أعوذ برب الناس
ني ني يا بشة

واش نديرو للعشا

نديرو جاري بالدبشة

نعطي لوليدي يتعشى"

هذه الأغنية عبارة عن "وثيقة فلكلورية " شفهية تختزل الهوية الثقافية والمجتمعية للشرق الجزائري)

وفي أغنية أخرى خاصة بالرضع في الرواية نجد :

"هذا عمي بوقاسم..

هذا لباس الخاتم..

هذا طويل بلا شغلة..

هذا لحاس البنة..

وهذا قزاع القملة..

دغ.. دغ.. دغ.. "

تعد هذه الأغاني جزءاً أصيلاً من الفلكلور الشعبي المغاربي، تُصنف ضمن "أغاني المداعبة"، وهي مرحلة تسبق التنويم أو تهدف لتهدئة الطفل، فالربط بين الكلمات ولمس أصابع الطفل يمنحه شعوراً بالأمان والحنان.

تنتهي الأغنية بكلمة "دغ دغ" (الدغدغة)، وهي عبارة عن وسيلة لإثارة ضحك الرضيع وإدخال السرور عليه، مما يفرغ طاقته الحركية قبل الاسترخاء للنوم.

فهذه الأغنية عبارة عن أهزوجة: "وهي نشيد شعبي في لغة العامة من الناس ينشده القرويون في مناسبات كثيرة ومتنوعة، مثل الحروب وعند الوفاة والاستعراض (العراضة)

والأعراس، والاستقبال والتوديع" ، وتنوعت الاهازيج بين أهازيج ألعاب الأطفال وترقيصهم، أهازيج العمل، أهازيج الحج، أهازيج الحداء، أهازيج الحرب...

فهي في العموم نوع من الأدب الشعبي الشفوي الموجه لعامة الناس، تعتمد على السجع والبساطة اللغوية، وفي هذا النوع الذي تطرقنا له تجمع الأغنية بين الحركة (لمس الأصابع) واللفظ، لتعزيز الرابطة العاطفية بين الأم (أو المربي) والطفل وتنمية إدراكه الحسي.

4-2 بعد الخوف من المجهول:

بعد الخوف من المجهول من أبرز الأبعاد النفسية التي يعكسها الموروث الشعبي، إذ يجد الإنسان نفسه في كثير من الأحيان عاجزا عن تفسير بعض الأحداث أو التنبؤ بمصيرها، فيتجه إلى بعض طقوس السحر والشعوذة بحثا عن إجابات تطمئن نفسه وتبدد مخاوفه، ومن هذا المنطلق تتجلى في هذا المثال مظاهر الخوف من خلال توجه الشخصية إلى العرافة راجية كشف الغموض المحيط بمستقبلهم، ومعرفة ما تخبأه لها الأيام، مما يجعل الموروث الشعبي وسيلة لمواجهة القلق الناتج عن المجهول " ذهب نصيرة إلى عرافة في الستين من العقد...جلست تنتظر دورها بعدما أخذت موعدا...وهي تشاهد النساء والبنات جالسات ينتظرن دورهن ...تدخل الواحدة تلو الأخرى في غرفة فارغة تجلس فيها العرافة التي تقوم باستطلاع الغيب من خلال الأوراق التي يلهوا بها الرجال في المقاهي...لقد أحضرت صورة تجمع رفيقة ووحيد ...أخذت العرافة ثلاثة ورقات وأعطتهن لنصيرة هاكي ...سبعي هاذ الأوراق على التصويرة ...ونوي واش في بالك ...أعادتها للعرافة التي قامت بقراءة بعض التعويذات وخلطتها مع بقية الأوراق لعدة مرات، ثم طلبت من نصيرة أن تقسم الأوراق إلى قسمين...وبدأت العرافة بشرحها على المائدة ... ثم بدأت في عملية التحليل واستكشاف أحوال الزوجين، بعدما أتكت قراءة الاحوال طلبت...من نصيرة أن تشتري لها بعض العقاقير الشعبية وتجلبها لها ...، نصير: وين نلقاهم هذم العقاقر...؟، العرافة:

روحي عند العشاب لمقابل الجامع في وسط البلاد ...العقاقر تاعو يجيبهم من المروك ...قوليلو بعتتني لويزة ...أو علابالو.... " .

يكشف المثال عن حضور الموروث الشعبي المرتبط بالسحر والعرافة بوصفه أحد المكونات الثقافية الراسخة في الوعي الجمعي للمجتمع، وتعد هذه الممارسات جزءا من الثقافة الشعبية التي توارثتها الأجيال عبر الزمن، إذ رسخت في المخيال الشعبي بقدرتها على فك العقد والمشاكل وكشف المستور ومعرفة المستقبل، وقد تمثلت هذه الأمور في الطقوس التي مارستها العرافة مثل استخدام الصورة الشخصية للزوجين وتدوير الازراق عليها، وتكرار بعض العبارات، ثم استعمال بعض الأعشاب والعقاقير الشعبية وهي عناصر تعكس حضور المعتقدات السحرية داخل المجتمع الشعبي باعتبارها وسائل بديلة يلجأ إليها الأفراد عندما تضيق بهم الطرق ويشعرون بالعجز عن إيجاد حلول واقعية لمشكلاتهم، وإذا تمعنا في كل هذه الامور نرى أن "نصيرة " تظهر في حالة من التوتو والقلق وعدم الاستقرار النفسي وهذا ما دفعها إلى التوجه إلى العرافة لإيجاد إجابات للأسئلة التي تؤرقها فالانتظار الطويل أمام غرفتها والتمسك بكل عبارة تقولها كأنه اليقين.

فهذا الموروث الشعبي يكمن في البعد النفسي للتخفيف من الضغوط ومتنفسا يلجأ إليه الانسان لخفض حدة التوتر والحيرة اللذين يرافقان الامور الصعبة التي يعيشها.

تظهر لنا أيضا الرواية رغبا الانسان الفطرية لمعرفة المجهول واكتشاف أسرار المستقبل، وهي حاجة نفسية رافقت المجتمعات الانسانية منذ الأزل، فالإنسان بطبيعته يميل إلى تفسير الاحداث التي تواجهه وعندما يعجز عن ذلك يلجأ إلى مثل هذه الأفعال، وهو ما يعطي للعرافة مكانة خاصة في نفوس الذين يكشفون عن الطمأنينة النفسية أكثر من بحثهم عن الحقيقة نفسها، فهذا الأمر يمنحهم الأمل الذي يعد من أهم الامور التي تمنح الإنسان القدرة على مواصلة الطريق ومواجهة الأزمات والصعاب.

فالموروث الشعبي هنا يؤدي وظيفة نفسية تتمثل في إعادة بناء الأمل داخل النفس البشرية حتى وإن كان لا يعتمد على أسس علمية لمواجهة مشكلاته بدل الاستسلام لليأس والاحباط، فالإنسان يشعر بالضعف أمام الاحداث التي لا يستطيع السيطرة عليها، ولذلك يبحث عن وسائل تمنحه الاحساس بالأمان.

وإجمالا الرواية لا تقدم لنا صورة العرافة والمشعوذة بوصفها مجرد ممارسات شعبية متوارثة، بل يكشف عن البعد النفسي المخفي ورائها، فهذه الطقوس تعبر عن مشاعر الخوف والقلق والانتظار التي تعيشها " نصيرة"، كما تعكس حاجة المرأة لمعرفة ما تخبأه له الأيام، وتفسير المجهول والتخفيف من الضغوط النفسية، فهو فضاء نفسي وثقافي في آن واحد، حيث يؤدي دورا هاما في مواساة الفرد ومساعدته على مواجهة أزماته والتكيف معه.

5-2 بعد تقدير الذات وزيادة الثقة بالنفس

يُعدّ بُعد تقدير الذات والثقة بالنفس من أبرز الأبعاد النفسية التي تسهم في تحقيق التوازن الداخلي للفرد، إذ يعكس نظرته الإيجابية لذاته وإدراكه لقيمته، كما يظهر من خلال قدرته على اتخاذ القرارات والدفاع عن اختياراته، مما يساعد على بناء شخصية مستقلة وواضحة المعالم.

إذ " يعتبر تقدير الذات ميزة أساسية في شخصية الفرد وفه ، يؤثر على سلوكنا وعلى أحاسيسنا وعلى قدراتنا التكيفية وتظهر الحاجة إلى التقدير الإيجابي للذات من بين الحاجات الحيوية للفرد وأي قصور في هذه الحاجة يترتب عنه مشكلات نفسية كثيرة . لهذا ينبغي الأخذ بعين الاعتبار هذا البعد عند تعاملنا مع الآخرين نظرا لأهميته في تمكين الفرد من العيش بانسجام مع نفسه ومع الغير" وتبرز الكاتبة بعد الثقة بالنفس، حيث صور الشخصية واثقة فيمشا عرها وقراراتها ، قادرة على التعبير عنها والدفاع عنه دو نتردد ، رغم ما يحيط بها من قيود اجتماعية، من خلال هذا القول:

"حطي في بالك... أني ما نتزوج مرا غيرك.. وأنت هي مكتوبي.. تهدن الحالة برك ونحكي مع خوك محمد...."

ويعكس هذا القول صورة الشخصية الواثقة من نفسها، وفي الوقت نفسه المرتبطة بالتراث، حيث يظهر ذلك في جرأته على التعبير عن مشاعره وتمسكه بقراره، إلى جانب احترامه للعادات من خلال التوجه إلى أخ الفتاة وطلب الحديث معه، فالكاتبة هنا تبرز أن الثقة بالنفس لا تتعارض مع القيم التقليدية، بل تنسجم معها في إطار يحفظ التوازن بين الجرأة الفردية واحترام الأعراف الاجتماعية.

وأيضا في عبارة: "فقد أحس أنه يملك الكون.. وقلبه يرقص فرحا بلقاء فراشته ... " ، وهو تعبير عن شعور داخلي بالرضا والثقة المرتبطة بالحب.

حيث تشعر الشخصية بالقوة والاطمئنان الداخلي، إذ تقول : "فقد أحس أنه يملك الكون.. وقلبه يرقص فرحا بلقاء فراشته ..."، وهو تعبير عن حالة من السعادة والسيطرة النفسية الناتجة عن الإحساس بالنجاح العاطفي. فإحساسه بأنه يملك الكون يدل على ثقة كبيرة بالنفس ورضا داخلي جعله يشعر بالاكتمال والفرح، مما يعكس قدرة الشخصية على التفاعل الإيجابي مع مشاعرها والتعبير عنها بحرية وطمأنينة.

تجسد شخصية "رفيقة" الفتاة البسيطة التي تعاني في البداية من ضعف تقدير الذات نتيجة ضغوط التقاليد العائلية والواقع القاسي الذي يجبرها على التنازل عن أحلامها .

رحلة رفيقة هي رحلة "عبور" نفسي، حيث تسعى لتعزيز قيمتها الذاتية والبحث عن الاستقلال العاطفي والشخصي وسط بيئة لا تمنح المرأة حقها في التعبير عن النفس .

3. بعد القيم والتصورات والشعور الجماعي:

يتجلى هذا البعد في الرواية من خلال استحضار الرواية الأمثال الشعبية، التي تُعدّ من أبرز أشكال التعبير الشعبي المتداولة بين مختلف فئات المجتمع، إذ يظهر حضورها في لغة التواصل اليومية بين الأفراد، كما تتجلى في العديد من الأجناس الأدبية كالشعر، والقصة، والخطابة وغيرها، وهي ظاهرة مشتركة بين مختلف الأمم قديمًا وحديثًا، وقد حظيت باهتمام متزايد منذ بدايات القرن العشرين، حيث أصبحت موضوعًا للدراسة في الجامعات، ومجالًا للبحث في الدراسات النفسية والاجتماعية لما تعكسه من قيم وتصورات جماعية للشعوب، كما اعتمدت بعض الجهات، ومن بينها ضباط الاستعمار الفرنسي في الجزائر، على الثقافة الشعبية بوصفها رصيدًا مهمًا لفهم المجتمع الجزائري.

يعرف المثل بأنه : " ماترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتذلو فيما بينهم وفاهوا به في السراء والضراء، واستدروا به الممتع من الدر ووصلوا به المطالب إلى المطالب القصية وتفجوا به عن الكرب والكربة وهو من أبلغ الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة أو غير مبالغ في بلوغ المدى من النفاسة"[1]

ويعرفه أبو هلال العسكري بأنه: " نوع من العلم منفرد بنفسه، لا يقدر على التصرف فيه إلا من اجتهدفي طلبه حتى أحكمه، وبالغ في إتقانه حتى أتقنه، وليس من حفظ صدرا من الغريب... قادرا على أن يقوم بشرح الأمثال والإبانة عن معانيها ...وإنما يحتاج الرجل في معرفتها مع العلم بالغريب إلى الوقوف على أصولها، والإحاطة بأحاديثها، ويكمل لذلك من اجتهد في الرواية وتقدم في الدراية" [2].

(1)الفارابي، ديوان الأدب، تح: أحمد مختار عمر، مجمع اللغة العربية، القاهرة، (د ط)، ج1، 2003، ص: 74.

(2)أبو هلال العسكري، جمهر الأمثال، تح: أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، ج1، 2003، ص ص: 14-15.

وتعرفه نبيلة إبراهيم بأنه: " القول الجاري على ألسنة الشعب الذي يتميز بطابع تعليمي، وشكل أدبي مكتمل يسمو على أشكال التعبير المألوفة"[1].

ومن خلال عرضنا لهذه التعاريف يمكن استنتاج أن المثل الشعبي يُعدّ شكلاً من أشكال التعبير الشعبي الذي يتميز بالإيجاز والبلاغة، وينتشر بين أفراد المجتمع لما يحمله من معانٍ وحِكم مستمدة من التجارب الإنسانية والاجتماعية، كما أنه ليس مجرد قول متداول، بل يحمل قيمة معرفية وثقافية وأدبية، إذ يعكس خبرات الشعوب وتصوراتها، ويؤدي وظيفة تعليمية وإرشادية تسهم في نقل القيم والخبرات عبر الأجيال.

ولقد جاء في الرواية التي بين أيدينا العديد من الأمثال الشعبية،والتي تحمل بعدا نفسيا عميقا في نفس الكاتب، فنجد قوله: "المرا اللي تغسل دارها وتنسى سُوكها، كيف المرا اللي تغسل وجها وتنسى رقبتها"[2].

إذ يعكس هذا المثل الأهمية القصوى التي يوليها التراث للمرأة كعماد للبيت ومسؤولة عن نظافته وهيبته. فـ "السوك" (الزقاق أو مدخل البيت) هو الواجهة التي يراها الناس، ونظافته تدل على نظافة "الدويرة" (المنزل) من الداخل.

كما يربط بين نظافة المكان والجمال الشخصي (الوجه والرقبة)، مما يشير إلى أن التراث الشعبي لا يؤمن بالتجزئة؛ فالإتقان يجب أن يشمل كل التفاصيل، الظاهرة منها والخفية.

(1)نبيلة ابراهيم ، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط3، 1981، ص: 174.

(2)المصدر نفسه، ص: 110.

فالشخص الذي يهتم بجزء ويغفل عن آخر يعاني من نقص في الرؤية، إذ يهتم بما يراه هو فقط وينسى ما يراه الآخرون، ويوحي هذا المثل بأن العناية المنقوصة تعكس شخصية قد تكون متسرعة أو تهتم بالقشور دون الجوهر، فالنفس السوية في هذا المنظور هي التي تسعى للتناغم والشمولية.

يرسخ المثل قيم "السنع"[1] والتدبير المنزلي المتكامل كمعيار أساسي لتقييم دور المرأة ومسؤوليتها داخل أسرتها ومجتمعها التقليدي، كما يقدم صيغة شاملة لثقافة الإنسان الشعبي.

وفي مثل آخر نجدها تقول: "الضيف ضيف ولو كان يقعد شتاء وصيف"[2].

يحمل هذا المثل دلالة اجتماعية وثقافية عميقة، إذ يؤكد على قيمة الكرم وحسن الضيافة بوصفها من أبرز القيم المتجذرة في التراث الشعبي الجزائري والعربي عمومًا، فالمثل يعبّر عن فكرة أن الضيف يظل محل احترام وتقدير مهما طالت مدة إقامته، مما يعكس نظرة المجتمع التقليدي إلى الضيافة باعتبارها واجبًا أخلاقيًا وإنسانيًا.

(1)السنع هو فن التعامل مع الآخرين، وقد نبع من قيم وأعراف وسلوك متوارث من الأجداد جيلا بعد جيل ؛ والتي تشمل على مجموعة وآداب ومعاملات وأخلاقيات وسلوك وتصرفات انبعثت من الدين الاسلامي وزرعت في نفوس الأبناء من خلال الأباء

(2)المصدر نفسه، ص: 116.

ويرتبط هذا المثل بالتراث الشعبي من خلال كونه ناقلًا للعادات والتقاليد الاجتماعية التي توارثتها الأجيال، حيث كان استقبال الضيف وإكرامه من مظاهر الشرف والمكانة الاجتماعية. فالأمثال الشعبية هنا تؤدي دورًا في حفظ القيم الجماعية وترسيخها داخل الذاكرة الشعبية.

وهذا ما يترك في النفس تعزيز الشعور بالأمان والانتماء الاجتماعي لدى الضيف، إذ يشعر بالقبول والاحترام، كما يرسخ لدى الأفراد قيم التعاطف، والتسامح، والكرم. وفي المقابل، قد يساهم في تكوين وعي جماعي يدفع الأفراد إلى التحلي بالصبر وتحمل الآخر، مما يقوي الروابط الاجتماعية ويخفف من مشاعر العزلة أو النفور بين الناس.

ومن الأمثال الواردة في الرواية نجد أيضا :"اللي ما فيه خير في ماليه (أهله)، ما فيه خير في الناس"[1].

مفاد هذا المثل أن الإنسان الذي لا يُحسن معاملة أهله وأقاربه ولا يظهر الخير داخل محيطه الأسري، يصعب أن يكون صالحًا أو مخلصًا في تعامله مع الآخرين، فالعائلة تُعدّ في التصور الشعبي المجال الأول الذي تتجلى فيه أخلاق الفرد وقيمه الإنسانية.

(1)المصدر نفسه، ص: 138.

يعكس هذا المثل ركيزة أساسية في الثقافة والتراث الشعبي الجزائري، يعلي من شأن "صلة الرحم" والوفاء للعائلة كاختبار حقيقي لمعدن الإنسان؛ فمن يفرط في أصله وجذوره لا يُؤتمن جانبه في العلاقات الخارجية (مع الناس).

إن هذا المثل يرسّخ الشعور بالمسؤولية والانتماء الأسري، ويعزز أهمية العلاقات القريبة في تكوين شخصية متوازنة. كما يؤثر في السلوك الاجتماعي للفرد من خلال دفعه إلى مراجعة تصرفاته داخل الأسرة، باعتبارها مؤشرًا على قدرته على بناء علاقات سليمة مع المجتمع، مما يسهم في تقوية الروابط الاجتماعية والشعور بالثقة المتبادلة بين الأفراد.

إن المثل الشعبي يغذي الفكر السائد للطبقات المكونة للمجتمع من خلال الخبرات والتجارب التي مرت بها وصاغتها في تلك العبارات القصيرة التي تلخص حدثا أو تجربة فتحصيه وموقف الانسان من هذا الحدث او هذه التجربة في أسلوب غير شخصي وأنه تعبير شعبي يأخذ شكل الحكمة التي تنبني على تجربة او خبرة مشتركة [1]

فهو مرآةً صادقة للتراث الشعبي وحاملًا لذاكرته الثقافية والاجتماعية، إذ لا يقتصر دوره على كونه قولًا متداولًا بين الناس، بل يتجاوز ذلك ليصبح وسيلة لنقل القيم والعادات والتصورات الجماعية من جيل إلى آخر. كما يختزل خبرات المجتمع وتجارب أفراده في عبارات موجزة

(1)علي بولنوار ومصطفى البشير قط، الدلالات الاجتماعية للأمثال الشعبية، مجلة كلية الآداب واللغات، المجلد12، ع25، 2019، ص: 357.

تحمل أبعادًا أخلاقية واجتماعية ونفسية، تعكس رؤية الإنسان الشعبي للحياة والعلاقات الإنسانية.

وترتبط الأمثال الشعبية بالتراث ارتباطًا وثيقًا، لأنها تُجسّد القيم الأصيلة التي يقوم عليها المجتمع، مثل الكرم، وصلة الرحم، والتكافل، وحسن التدبير، واحترام الآخر، مما يجعلها أداة للمحافظة على الهوية الثقافية وترسيخ العادات الاجتماعية داخل الوعي الجمعي ووسيلة تربوية ونفسية فعالة.

خاتمـــــــة

نخلص في ختام هذه الدراسة إلى:

1- تبيين أن الموروث الشعبي في رواية **"وطن تاء العبور"** لوردة رزقين لم يكن مجرد عنصر تراثي يُستحضر للتزيين الفني، بل شكّل فضاءً دلاليًا ونفسيًا أسهم في الكشف عن أعماق الشخصيات وتجاربها الإنسانية، وقد أظهرت الدراسة أن الكاتبة وظّفت الموروث الشعبي توظيفًا فنيًا عبّر عن مجموعة من الأبعاد النفسية التي شكّلت جوهر التجربة الروائية.

2- أنّ التراث الشعبي يمثل مخزونًا ثقافيًا ونفسيًا يعكس هوية المجتمع وقيمه ومعتقداته، كما يسهم في تفسير السلوك الإنساني وفهم البنية الشعورية للأفراد.

3- أن رواية "وطن تاء العبور" لوردة زرقين تحمل أبعادًا نفسية متعددة تعكس تجربة الشخصيات داخل واقع اجتماعي وتاريخي متحوّل، حيث يتجلى فيها بوضوح:

- الشعور بالانتماء للتراث الجزائري والفخر والفرح وإثبات الذات والثقة فيها من خلاله
- حضور الحزن والألم والصراع الداخلي.
- الشعور الجمعي بقيمة التراث.

4- أن الانتماء يشكل أساس الهوية النفسية للشخصيات من خلال ارتباطها بالوطن والتراث، بينما يعكس الفخر الاعتزاز بالموروث التاريخي والمعالم الأثرية،

5- الفرح والحيوية يظهران عبر الطقوس الاحتفالية والعادات الشعبية التي تعزز الروابط الاجتماعية، في المقابل تكشف الرواية عن مشاعر الحزن والقلق الناتجة عن الصراعات العاطفية والاجتماعية.

6- أن الأبعاد النفسية تتجلى كعنصر أساسي في بناء دلالة الرواية، إذ تعكس صورة الإنسان الجزائري بين الانتماء والصراع والانفعال العاطفي.

وهذه جملة من التوصيات التي نرفعها أمام كل طالب علم ومهتم بالتراث الشعبي وللدراسات الأدبية للخوض فيها:

1- الاهتمام بالتراث الشعبي الجزائري بوصفه مكوّنًا أساسيًا من مكوّنات الهوية الوطنية، والعمل على جمعه وتوثيقه وحفظه من الاندثار.

2- -تشجيع الدراسات الأكاديمية التي تتناول التراث الشعبي في الرواية الجزائرية المعاصرة، لما يتيحه من إمكانات معرفية وثقافية في فهم المجتمع وقيمه.

3- -العناية بالموروث الشفهي من أغاني وأهازيج وأمثال وحكايات شعبية، من خلال تسجيله وتدوينه وإتاحته للباحثين والمهتمين.

4- -إدماج التراث الشعبي في المناهج التعليمية والأنشطة الثقافية لتعزيز الوعي بالهوية الوطنية لدى الأجيال الصاعدة.

5- -دعم البحوث التي تعتمد المقاربات النفسية والثقافية في دراسة النصوص الأدبية، لما تكشفه من أبعاد دلالية وجمالية مرتبطة بالإنسان والمجتمع.

6- -تشجيع الروائيين والأدباء على توظيف التراث الشعبي في أعمالهم الإبداعية بما يسهم في المحافظة عليه وإبراز قيمه الحضارية.

7- -الاهتمام بالمواقع الأثرية والمعالم التاريخية والزوايا والمتاحف وصيانتها والتعريف بها، باعتبارها جزءًا من الذاكرة الجماعية والتراث الوطني.

8- -تعزيز الدراسات المقارنة بين الروايات الجزائرية والعربية في كيفية تمثيل التراث الشعبي وتوظيفه فنّيًا ودلاليًا.

9- -إنشاء مشاريع رقمية وقواعد بيانات للتراث الشعبي الجزائري تسهم في حفظه وتسهيل الوصول إليه والاستفادة منه في البحث العلمي.

10- -تشجيع تنظيم الملتقيات والندوات العلمية التي تعنى بالتراث الشعبي وعلاقته بالأدب والهوية والثقافة الوطنية.

تم البحث بحمد الله

قائمة المصادر والمراجع

I. القرآن الكريم

II. قائمة المصادر

1) -وردة زرقين، رواية وطن تاء العبور، دار خيال للنشر والترجمة، الجزائر، ط1، 2004.

I. قائمة المراع

1- الكتب العربية

2) -إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، ط1، 1986. ج

3) -إبراهيم خليل محمود، النقد الأدبي الحديث: من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للطباعة والنشر، (د ط)، 2007.

4) -أحمد أبو الوفا، النظرية العامة للقانون الدولي الإنساني (في القانون وفي الشريعة الإسلامية)، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، 2006.

5) -أحمد علي مرسي، مقدمة في الفلكلور، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، (د ط)، 2001.

6) -أحمد علي مرسي، صون التراث الثقافي غير المادي: أرشيف الحياة والمأثورات الشعبية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2013.

7) -أنور عبد الحميد الموسى، علم النفس الأدبي: منهج سيكولوجي في قراءة الأعماق، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2011.

8) -أنور عبد الحميد الموسى، علم النفس الأدبي: منهج سيكولوجي في قراءة الأعماق، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2011.

9) -جميلة قاسمي، الموروث الشعبي الجزائري: قراءة سينمائية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2016.

10) -رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي المعاصر: دراسة جمالية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2002.

11) -سيد علي إسماعيل، أثر التراث في المسرح المعاصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، 2000.

12) -السيد حافظ الأسود، التراث الشعبي، دار القلم، دبي، (د ط)، 1997.

13) -عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري: دراسة لأشكال الأداء في الفنون التعبيرية الشعبية في الجزائر، دار القصبة للنشر، الجزائر، (د ط)، 2007.

14) -عبد الرضا علي، الأسطورة والرمز في الشعر السياب، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، (د ط)، 1978.

15) -علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)، 1997.

16) -فاروق خورشيد، عالم الأدب الشعبي العجيب، دار الشروق، مصر ـ لبنان، ط1، 1991.

17) -فاتن محمد الشريف، الثقافة والفلكلور، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2008.

18) -لطيف زيتوني، معجمات مصطلحات نقد الرواية: عربي، إنجليزي، فرنسي، دار النهار للنشر، لبنان، ط1، 2002.

19) -محمد بوعزة، الدليل إلى تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط، ط1.

20) -محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، مكتبة الأسد، دمشق، (د ط)، 2002.

21) -محمد سيد أشرف صالح، الحضارة العربية: أساليب الدمار والتلف، مؤسسة النور، (د م)، (د ط)، 2009.

22) -محمد نسيب، زوايا العلم والقراءة في الجزائر، دار الفكر، بوزريعة، الجزائر، (د ط)، (د ت).

23) -مصطفى جاد، نظريتا أرشيف الفلكلور والتأسيس، دفاتر الأكاديمية، أكاديمية الفنون، (د ط)، (د ت).

- محمد لخضر زبايدية، من أعلام النقد العربي الحديث، دار الفكر المعاصر، باتنة، الجزائر، ط1، 2003.

24) -نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط3، 1981.

25) -الطاهر بلحيا، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، منشورات التبيين، الجزائر، (د ط)، 2000.

26) - كمال وهبي وكمال أبو شهدة، مقدمة في التحليل النفسي، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1997.

2- الكتب المترجمة

27) -كارين أرمسترونغ، تاريخ الأسطورة، ترجمة: وجيه قانصو، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2008.

ج- المعاجم

28) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: محمد هارون، دار الفكب، بيروت، لبنان، د ط، 1979.

29) -أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، ج1، 2003.

30) -الفارابي، ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر، مجمع اللغة العربية، القاهرة، (د ط)، ج1، 2003.

31) -ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط6، 1997.

32) -مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط2، 2005.

33) -مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، تخريج: إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وآخرون، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط)، 1989.

د- المقالات والمجلات

34) -آمال ماي، المنطلقات والخلفيات النفسية للنقد الأسطوري، مجلة جامعة محمد خيضر بسكرة، ع16، 2014.

35) -أمينة سرير، الآليات الدولية والسياسات الوطنية الجزائرية لحماية التراث اللامادي، مجلة القانون والعلوم البيئية، 18 سبتمبر 2023.

36) -حكيمة نعيمي، أهمية التراث وأساليب حمايته والحفاظ عليه، مجلة دراسات التنمية الاقتصادية، مج7 ع1، 2024.

37) -خالصة شراحيل، التراث المادي في الجزائر: طرق الحفاظ عليه واستغلاله في التنمية السياحية، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج6، ع24، 2022.

38) زليخة مدرقنارو، سؤال الهوية والانتماء في رواية وطن تاء العبور لوردة زرقين، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد 08، العدد05، ديسمبر 2025، -سعاد حميدة، عناصر التراث الثقافي اللامادي الجزائري ومنهجية صونه، مجلة الآداب،مج19،ع1،ديسمبر 2019.

39) -سامية عواج، التراث المادي واللامادي ودور الإعلام في الحفاظ عليه وتثمينه، مجلةالمعارف للبحوث والدراسات التاريخية،ع22.

40) سمير سرحان، التفسير الأسطوري في النقد الأدبي، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد3، المجلد 1، ج1، أفريل .1981.

41) سليم احمدوش، التراث الثقافي اللامادي بين مخاطر الانقراض وآليات الصون: قبائل ساحل الريف الشرقي، مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المغرب، https://crshc.com

42) شفيق إيكوفان، الأبعاد النفسية والاجتماعية للتراث الشفوي وإشكاليات التلقي، قسم الإعلام، جامعة تيزي وزو.

43) عبد القادر قصاب، التحليل النفسي في الدرس النقدي العربي، مجلة آفاق علمية، المجلد11، العدد 01، 2019.

44) عبد الناصر عبد الرحمان زهراني، تجربة جامعة الملك سعود في إدارة التراث، أعمال مؤتمر الاتجاهات المعاصرة في إدارة التراث الثقافي، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، المغرب، أوت 2008.

45) -علي بولنوار، مصطفى البشير قط، الدلالات الاجتماعية للأمثال الشعبية، مجلة كلية الآداب واللغات ،مج12،ع25، 2019.

46) قدور يوسف، حادي إبراهيم، صيانة الموروث الثقافي كجزء من مقومات الأمن الثقافي والاجتماعي الجزائري، ضمن فعاليات الملتقى الوطني الأول الموروث الثقافي الجزائري ودوره في تنمية الاقتصاد المحلي، المركز الجامعي البيض، ديسمبر 2022،

47) لبيد مريم، طالبي مسعودة، مفهوم التراث الثقافي المادي وآليات الحماية القانونية له، مجلة القانون والعلوم البيئية، المجلد2،ع2، 2023.

48) لزهر جويلي، تدبير التراث الثقافي غير المادي في الدول العربية من خلال اتفاقية اليونسكو لسنة 2003، المجلة العربية للثقافة،ع67، تونس، 2021،

49) محمد قراش، التحليل النفسي وتفسير الفن والأدب: قراءة في الاسهامات التأسيسية لسيغموند فرويد، مجلة حقائق لدراسات النفسية والاجتماعية. د ت.

50) : قراءة في الإسهامات التأسيسية لسيغموند فرويد، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية ع18.

51) -طحرور فيصل، دور منظمة اليونسكو في حماية الممتلكات الثقافية زمن النزاعات المسلحة، جامعة باتنة، ع6، جوان 2016.

هـ- الرسائل الجامعية

52) -طارق شنوف، توظيف الموروث الثقافي الجزائري من خلال الومضات الإشهارية، أطروحة دكتوراه، قسم الفنون البصرية وفنون العرض، جامعة قسنطينة 3، 2023-2024.

53) -مصطفى فنطازي، تجليات التراث في رواية صوت الكهف لعبد الملك مرتاض، مذكرة ماستر، إشراف فضيلة ركبة، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة قسنطينة 1، 2014-2015.

و- المواقع الإلكترونية

54) -أحمد فتح الله، ماهية البعد اللغوي، صحيفة جهات الإلكترونية: https://jehat.net

55) -التراث الثقافي الجزائري: https://cartes.patrimoineculturelalgerien.org

56) -جامعة الطبانة (ويكيبيديا): https://ar.wikipedia.org

57) -المواقع السياحية بدائرة مستغانم: https://mostaganem.mta.gov.dz

58) -اليونسكو، اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي: https://ich.unesco.org/ar/convention

59) -وطن تاء العبور، الموقع الإلكتروني الموعد اليومي: https://elmaouid.dz.

فهرس الموضوعات

● تمهيد 6
الفصل الاول: التراث وأصنافه وعلاقته بالدراسات والأبعاد النفسية
I. تعريف التراث، أقسامه، تصنيفه، أهميته، حمايته..... 28-7
1. تعريف التراث..... 10-7
2. أقسام التراث..... 15-10
3. تصنيف التراث..... 22-15
4. أهمية التراث..... 25-23
5. حماية التراث: 25-28
II. الأبعاد النفسية وعلاقتها بالرواية والتراث الشعبي..... 29 -40
1. مفهوم البعد النفسي..... 32-30
2. الأبعاد النفسية للأدب..... 35-33
3. الأبعاد النفسية وعلاقتها بالتراث الشعبي..... 40-36
الفصل الثاني: الأبعاد النفسية في رواية وطن تاء العبور لوردة زرقين
● تمهيد..... 24
I. قراءة وصفية مختصرة في الرواية..... 52-43
1. نبذة عن المؤلفة وردة زرقين..... 43 -44
2. قراءة في رواية وطن تاء العبور (رمزية العنوان والموضوعات والشخصيات)..... 48-44
3. نبذة عن محتوى الرواية..... 49-48
4. أصناف التراث الموجودة في الرواية..... 50 -51

II. دراسة الأبعاد النفسية في رواية وطن تاء العبور لوردة زرقين.....52- 81
1. الشعور بالانتماء للتراث الشعبي والاعتزاز بالهوية الوطنية الأصيلة..... 53- 64
2. الانفعالات والمكنونات النفسة الفردية..... 64- 75
3. بعد القيم والتصورات والشعور الجماعي.....76-81
● الخاتمة..... 83- 84
● قائمة المراجع..... 86-92
● الفهرس.....94-95
● الملخص

الملخـــــص

ملخص

شكل التراث الشعبي ركيزة أساسية في بناء الهوية الثقافية والحضارية للشعوب إذ يمثل الذاكرة الجماعية التي تحفظ القيم والعادات والتقاليد والمعتقدات المتوارثة عبر الأجيال.

كما يعد وسيلة مهمة لفهم المجتمع والكشف عن رؤيته للحياة والإنسان والعالم، لما يحمله من دلالات ثقافية واجتماعية ونفسية متنوعة.

ترتبط الأبعاد النفسية بالتراث الشعبي ارتباطًا وثيقًا، حيث يعكس هذا الأخير مشاعر الأفراد والجماعات وأحلامهم ومخاوفهم وتطلعاتهم، ويسهم في تعزيز الشعور بالانتماء والاعتزاز بالهوية، كما يرسخ قيم التضامن والتماسك الاجتماعي. وتظهر هذه الأبعاد من خلال مختلف أشكال التراث الشعبي، كالحكايات والأساطير والأمثال والأغاني والعادات والتقاليد، التي تمثل مرآة صادقة للتجربة الإنسانية.

كما تبرز الأعمال الأدبية أهمية التراث الشعبي بوصفه مصدرًا للإبداع والتعبير الفني، إذ يوظف لإبراز القضايا الإنسانية والاجتماعية والنفسية، ويسهم في تجسيد الواقع وربط الماضي بالحاضر. ومن خلال استحضار الموروث الشعبي تتجلى القيم الثقافية والرمزية التي تعكس خصوصية المجتمع وتحافظ على استمرارية هويته الثقافية.

وبذلك يبقى التراث الشعبي عنصرًا فاعلًا في حفظ الذاكرة الجماعية وصون الهوية الوطنية، كما يشكل مجالًا خصبًا للكشف عن الأبعاد النفسية والاجتماعية الكامنة في حياة الأفراد والجماعات، مما يجعله إرثًا حضاريًا وثقافيًا يستحق الدراسة والاهتمام والمحافظة عليه.

مسعودة ترعة

Conclusion

Folk heritage constitutes a fundamental pillar in shaping the cultural and civilizational identity of societies, as it represents the collective memory that preserves values, customs, traditions, and beliefs passed down through generations. It also serves as an important means of understanding society and revealing its perception of life, humanity, and the world through its rich cultural, social, and psychological meanings.

Psychological dimensions are closely linked to folk heritage, as it reflects the emotions, aspirations, fears, and experiences of both individuals and communities. It contributes to strengthening the sense of belonging and cultural pride while promoting social cohesion and solidarity. These dimensions are manifested in various forms of folk heritage, such as tales, myths, proverbs, songs, customs, and traditions, which represent authentic expressions of human experience.

Literary works further highlight the significance of folk heritage as a source of creativity and artistic expression. Through its use, writers address human, social, and psychological issues while connecting the past with the present. Folk heritage thus conveys cultural and symbolic values that reflect the uniqueness of society and ensure the continuity of its cultural identity.

Therefore, folk heritage remains an essential element in preserving collective memory and safeguarding national identity. It also provides a rich field for exploring the psychological and social dimensions underlying human life, making it a valuable cultural and civilizational legacy worthy of study, preservation, and appreci